

2 me Année, No. 51.

بدل الاشتراك عن سنة

| | |
|---|---|
| ٦٠ | فى مصر والسودان |
| ٨٠ | فى الأقطار العربية |
| ١٠٠ | فى سائر الممالك الأخرى |
| ١٢٠ | فى العراق بالبريد السريع |
| ١ | ثمن العدد الواحد |

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

# الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi-25-6-1934

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠ / ٤٠٥٣٠

العـــدد ٥١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٥٣ — ٢٥ يونيو سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

فهرس العـــدد



# ذكرى المـــولد ...

كان الناس فى ابريل من عام ٥٧١ ، والطبيعة المشفوفة تنتظر انبثاق الروح المبدع ، وانبعاث الربيع الممرع ، وانتعاش الحياة الجديدة فى الأرض الهامدة ؛ والخليقة المشوقة ترسل النظر الحائر فى الآفاق الغائمة ، ترتقب لمعة النور من الشرق ، ونفحة القوة من الحق ، وكلمة الهدى من الله ؛ والجزيرة المجهودة تصهرها الشدائد ، وتطهرها الدماء ، وتهيئها الأقدار ليهبط فوقها الوحى ، ويتجلى لها الخالق ، وتتصل عندها السموات بالأرض ؛ والهواتف الطائفة تعلن فى رءوس الجبال ، وسفوح الأودية ، ومدارج السبُل ، وسوابيط المعابد ، وأواوين القصور ، بشرى الرسالة الأخيرة ، وظهور الرسول المنتظر ؛ والشياطين الآلهة تئن فى أجواف الأصنام المنكسة أنين الخيبة والهيبة واليأس ؛ وأجنحة الأملاك تخفق من وراء البصر فى جو مكة القائظ المغبر ، فتنفض عليه النور والسرور والصفاء والدعة ؛ وأرواح الأنبياء من حول الكعبة تضوع بالحمد والدعاء احتفالاً بختام النبوة ، وقيام الدعوة مرة أخرى فى بيت ابراهيم ؛ وومضات من روح القدس وأشعة الخلد تنعقد هالات

مشرقات على « شعب بنى هاشم » وفوق دار آمنة ؛ والنبى الوليد الذى خنس لمولده الشيطان ، واعتدل بمقدمه الزمان ، وخشع لذكره الكاهن والموبذان ، وتصدّع من خشيته الدست والإيوان ، يفتح عينيه للوجود فى بيت العُدم ، ويلقى أرواقه الكريمة على مهاد اليتم ، ولا يظفر بمرضع إلا لأنها لم تظفر آخر الأمر بغيره ! !

* * *

تبارك الله ما أبلغ حكمه وأجل شأنه ! شاء لنوره وبرهانه أن يشرقا فى هذا المنزل المتواضع ، ولمجده وسلطانه أن يظهرا فى هذا اليتيم الوادع ، ولعلمه وقرآنه أن ينزلا على هذا الأمى الحيى ، لتكون آيته أبهر للعيون ، ودعوته أبرع فى العقول ، وكلمته أنوط بالأفئدة ؛ ولو اتخذ رسله من الملوك العواهل لاتُّهمت المعجزة ، والتبس على الناس فعل القدرة .

كان محمد بن عبد الله مثَل الله الأعلى للانسان الكامل . صوره خلقًا سويًّا ليرسم الأخلاق بالمثل ، ويعلم الدين بالعمل ، وينظم الحياة بالقدوة . والا فكيف اجتمع فيه ما تفرق فى جميع الناس من خصال الرجولة ، وخلال البطولة ، وخلائق النبل ، وبيئته لا تملك من بعض ذلك ما تعطيه ؟

رعى على بعض أهله ، وسعى لبعض قومه ، واتجر بمال زوجه ، فكان فى جليل الأمر كما كان فى ضئيله صادق العزم ، كريم العهد ، وثيق الذمة ، راجح الحلم ، شاهد اللب ، لين العِطف ، حلو المعاشرة « يحمل الكَلّ ، ويكسب المعدوم ، ويعين على نوائب الحق »

ثم اصطنعه الله لحقه ، وحمّله الرسالة الى خلقه ، فكان فى غار حراء ، وفى دار الأرقم ، وفى جبل ثور ، وفى دار أبى أيوب ، وفى المسجد الجامع ، ثم فى الرفيق الأعلى ، مظهرا صحيحا لروح الله ، واعلانا صريحا لسر الدين ، ومثالا عاليا لصدق الجهاد ، واحتمالا ساميا لمكاره الدعوة ، وأسوة حسنة لجميع الناس !

جهر الرسول بالدعوة بعد أن خافت بها فى قريش ثلاث سنين ، فضلل الأقوام وسفه الأحلام وهاجم الشرك فى معقله ، وليس وراء ظهره الا عمه ! فتألبت عليه عناصر الشر جمعاء فما أفكتْه عن عزمه ، ولا خلجته عن همه . ثم تجلت فيه مواهب الكمال الانسانى فحشد للخصومة قوى النفس وقوى الحس ، فجاهد بالصدق ، وجالد بالصبر ، وجادل بالمنطق ، وصاول بالرأى ، وأثّر باللسان ، وقهر باليد ، وتلك مزيته الظاهرة على النبيين والرسل ، فكل نبى وكل رسول انما بان شأوه على قومه فى بعض المزايا ، الا الرسول العربى فقد تم فيه ما نقص فى غيره من معجزات الرجولة ، فكان رسولا فى الدين ، وعلما فى البلاغة ، ودستوراً فى السياسة ، واماما فى التشريع ، وقائداً فى الحرب .

***

إن حياة الرسول قانون إلهى خالد لصاحب الدين وصاحب الدنيا ، وان وسائل الجهاد التى جدد بها أسلوب العيش وأقام بها ميزان المجتمع لا تزال عناوين ضخمة فى صفحات العلم والسياسة والخلق ، وان من آساس الاسلام أن نطيع الله فى كتابه ، ونطيع الرسول فى سننه وآدابه ، فليت شعرى أكان فى حدود الامكان أن يرتطم العرب والمسلمون فى مراغة الخمول ، فيرضون بالهُون ، ويقنعون بالدون ، ويتخلون عن مكانهم من صدر الوجود ، لو أنهم اتخذوا من أحكام ربهم منهاجا ، ومن كلام رسولهم علاجا ، ومن حياة السابقين الأولين من رجالهم قوة وقدوة ؟ ؟

أليس من خذلان الله لنشئنا الجُدُد أن يلوكوا جاهدين أسماء فلان وفلان ممن رأى رأيا أو أنشأ قصيدة أو ألف كتابا ، ثم يتركوا عامدين اسم محمد الذى جمع العرب من شتات ، وأيقظ العالم من سبات ، وأقام للسماء دينا فى الأرض ، وأسس للأرض دنيا فى السماء ؟

احمد حسن الزيات

# الاشــــراق الالهى
## وفلسفة الاســلام

للأستاذ مصطفى صادق الرافعى

كما تطلع الشمس بأنوارها فتفجر ينبوع الضوء المسمى النهار ، يولد النبي فيوجد فى الانسانية ينبوع النور المسمى بالدين . وليس النهار إلا يقظة الحياة تحقق أعمالها ، وليس الدين إلا يقظة النفس تحقق فضائلها .

والشمس خلقها الله حاملة طابعه الالهى فى عملها للمادة تُحَوّل به وتُغيّر ، والنبي يرسله الله حاملاً مثل ذلك الطابع فى عمله للروح ترق فيه وتسمو .

ورعشات الضوء من الشمس هى قصة الهداية للكون فى كلام من النور ، وأشعة الوحى فى النبي هى قصة الهداية لانسان الكون فى نور من الكلام .

والعامل الالهى العظيم يعمل فى نظام النفس والأرض بأداتين متشابهتين : أجرام النور من الشموس والكواكب ، وأجرام العقل من الرسل والأنبياء .

فليس النبي انساناً من العظماء يُقرأ تاريخُه بالفكر معه المنطق ، ومع المنطق الشك ، ثم يُدرس بكل ذلك على أصول الطبيعة البشرية العامة ؛ ولكنه انسانٌ نجميٌّ يُقرأ بمثل «التلسكوب» فى الدقة ، معه العلم ، ومع العلم الايمان ، ثم يُدرس بكل ذلك على أصول طبيعته النورانية وحدها .

والحياة تنشئُ علم التاريخ ، ولكن هذه الطريقة فى درس الأنبياء صلوات الله عليهم — تجعل التاريخ هو ينشئُ علم الحياة ؛ فانما النبي إشراق إلهى على الانسانية يقومها فى فلكها الأخلاقى ، ويجذبها الى الكمال فى نظام هو بعينه صورة لقانون الجاذبية فى الكواكب .

ويجئ النبي فتجئُ الحقيقة الالهية معه فى مثل بلاغة الفن البيانى ، لتكون أقوى أثراً ، وأيسر فهماً ، وأبدع تمثيلاً ؛ وليس عليها خلاف من الحس . وهذا هو الأسلوب الذى يجعل انساناً واحداً فَنَّ الناس جميعاً ، كما تكون البلاغة فن لغة بأكملها ؛ هو الشخص المفسِّر اذا تعسّف الناس الحياة لا يدرون أين يؤمون منها ، ولا كيف يتهدّون فيها ، فتضطرب الملايين من البشرية اضطرابها فيما تنقبض عنه وتتهالك فيه من أطماع الدنيا ؛ ثم يخلق رجل واحد ليكون هو التفسير لما مضى وما يأتى ، فتظهر به حقائق الآداب العالية فى قالب من الانسان العامل المرئىّ ، أبلغ مما تظهر فى قصة متكلمة مروية .

وما الشهادة للنبوة إلا أن تكون نفس النبي أبلغَ نفوس قومه حتى كأنها فى طباعه وشمائله طبيعة قائمة وحدها كأنها الوضع النفسانى الدقيق الذى يُنصب لتصحيح الوضع المغلوط للبشرية فى عالم المادة وتنازع البقاء . وكأن الحقيقة السامية فى هذا النبي تنادى الناس : أنْ قابلوا على هذا الأصل وصححوا ما اعترى أنفسكم من غلط الحياة وتحريف الانسانية .

***

ومن ثم فنبي البشرية كلها من بُعِث بالدين أعمالاً مفصلة على النفس أدق تفصيل وأوفاه بمصلحتها ، فهو يعطى الحياة فى كل عصر عقلها العملى الثابت المستقر تنظّم به أحوال النفس على ميزة وبصيرة ، ويدع للحياة عقلها العلميّ المتجدد المتغير تنظم به أحوال الطبيعة على قصد وهدى ، وهذه هى حقيقة الاسلام فى أخص معانيه ، لا يغنى عنه فى ذلك دين آخر ، ولا يؤدى تأديته فى هذه الحاجة أدب ولا علم ولا فلسفة ، كأنما هو نبعٌ فى الأرض لمعانى النور بإزاء الشمس نبع النور فى السماء .

وكل ذلك تراه فى نفس محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فهى فى مجموعها أبلغ الأنفس قاطبة ؛ لا يمكن أن تعرف الأرض أكمل منها ؛ ولو اجتمعت فضائل الحكماء والفلاسفة والمتألهين وجعلت فى نصاب واحد — ما بلغت أن يجئ منها مثل نفسه صلى الله عليه وسلم . ولكأنما خرجت هذه النفس من صيغة كصيغة الدرة فى محارتها ، أو تركيب كتركيب الماس فى منجمه ، أو صفة كصفة الذهب فى عرقه . وهى النفس الاجتماعية الكبرى ، من أين تدبّرتها رأيتها على الانسانية كالشمس فى الأفق الأعلى تنبسط وتضحى . وتلك هى الشهادة له صلى الله عليه وسلم بأنه خاتم الانبياء ، وأن دينه هو دين الانسانية الأخير . فهذا الدين فى مجموعه إن هو إلا صورة تلك النفس العظيمة فى مجموعها ، صلابته بمقدار الحق الانسانى الثابت ، لا بمقدار الانسان المتغير الذى يكون عند سبب جبلاً صلداً يشمخ ، وعند سبب آخر ماءً عذباً يجرى .

وهو دين يعلو بالقوة ويدعو اليها ، ويريد اخضاع الدنيا وحكم

العالم ، ويستفرغ همه فى ذلك ، لا لإعزاز الأقوى وإذلال الأضعف ، ولكن للارتقاء بالأضعف الى الأقوى . وفرقُ ما بين شريعته وشرائع القوة ، أن هذه انما هى قوة سيادة الطبيعة وتحكمها ، أما هو فقوة سيادة الفضيلة وتغلبها ؛ وتلك تعمل للتفريق ، وهو يعمل للمساواة ؛ وسيادة الطبيعة وعملها للتفريق هما أساس العبودية ، وغلبة الفضيلة وعملها للمساواة هما أعظم وسائل الحرية .

ومن هنا كان طبيعياً فى الاسلام ما جاء به من أنه لا فضيلة إلا وهو يطبع عليها صورة الجنة بنعيمها الخالد ، ولا رذيلة إلا وهو يضع عليها صورة النار الأبدية وقودها الناس والحجارة ؛ فلا تنظر العين المسلمة الى أسباب الحياة نظرة الفكر المنازع يحرص على ما يكون له ، ويَشرَه الى ما ليس له ، ويمكر الحيلة ، ويبدع وسائل الخداع ، ويزيد بكل ذلك فى تعقيد الدنيا — بل نظرةَ القلب المسالم يخلع الدنيا ، ويسخو بكل مضنون فيها فيعف عن كثير ؛ ويعرف الانسانية ، ويطمع فى غاياتها العليا ، فيعفو عن كثير ؛ ويدرك أن الحلال وإن حل فوراءه حسابه ، وأن الحرام وإن غر ليس إلا تعلل ساعة ذاهبة ثم من ورائه عقاب الأبد .

ويخرج من ذلك أن يكون أكبر أغراض الاسلام هو أن يجعل من خشية الله تعالى قانون وجود الانسان على الأرض ، فمن أى عِطفيه التفت هذا الانسان وجد على يمنته ويسرته ملكين من ملائكة الله يكتبان أعماله بخيرها وشرها ، فهو كالمتهم المستراب به فى سياسة النفس لا يمشى خطوة إلا بين جاسوسين يحصيان عليه حتى أسباب النية ، ويجمعان منه حتى نزوات الكبد ، ويترجمان عنه حتى معانى النظر . واذا قامت هذه المحكمة الملائكية وتقررت فى اعتبار النفس — قام منها على النفس شرع نافذ هو قانون الارادة المميزة ، تزيد الحسنات وتعمل لها ، وتخشى السيئات وتنفر منها ، فاذا معانى اجتـ[illegible] بعضها بعضاً ، لا لتحقيق الحكومة والسلطة ، ولكن لتحقيق الخير والصلحة ؛ واذا نواميس الطبيعة المجنونة فى هذا الحيوان قد نهضت الى جانبها نواميس الارادة الحكيمة فى الانسان ، واذا كل صغيرة وكبيرة فى النفس هى من صاحبها مادة تهمة عند قاضيها فى محكمتها ، واذا كل مافى الانسان ، وما حول الانسان — لا يراد منه إلا سلام النفس فى عاقبتها ؛ واذا معنى السلام هو المعنى الغالب المتصرف بالانسانية فى دنياها .

وكل أعمال الاسلام وأخلاقه وآدابه ، فتلك هى غايتها ، وهذه هى فلسفتها ؛ لا يقررها للانسانية حسْب ، بل يغرسها فى الوراثة غرساً بالاعتياد والمران الدائم ، لتكون علماً وعملاً ، فتمكن لسلام النفس بين الأسلحة المسددة اليها من ضرورات الحياة فى أيدى الأعداء المتألبة عليها من شهوات الغريزة .

فليس يعم السلام إلا اذا عم هذا الدين بأخلاقه فشمل الأرض أو أكثرها ، فان قانون العالم حينئذ يصبح منتزعاً من طبيعة التراحم ، فاما انتسخ به قانون التنازع الطبيعى ، وإما كسر من شِرَّته ، ويولد المولود يومئذ وتولد معه الأخلاق الانسانية .

***

تقرير معنى الدوام لكل أعمال النفس حتى مثقال الذرة من الخير والشر ، وضبط ذلك برياضة عملية دائمة مفروضة على الناس جميعاً — هذا هو أساس العقيدة الاسلامية . ولا صلاح للانسانية بغيره يردها إلى سبيل قصدها ، فان من ذلك تكون الصفة العقلية التى تغلب على المجتمع وتجانس بين أفراده ، فتوجه الانسانيةَ كلها نحو الممكن من كمالها ، ولا تزال توجّهها نحو ماهو أعلى ، وتحكم فاسدها بصالحها ، وتأخذ عاصيها بمطيعها ، وتجعل الشرف الانسانى غرضها الأول ، لأن الله الحقّ غرضُها الأخير ؛ فيصبح المرء — وهذا دينه — كلما تقدم به العمر كمل فيه اثنان : الانسان ، والشريعة . ولا يعود طالب السعادة النفسية فى الدنيا كالمجنون يجرى وراء ظله ليمسكه ؛ فلا يدرك فى الآخر شيئاً غير معرفته أنه كان فى عمل باطل وسعى ضائع .

والاسلام يحرص أشد الحرص وأبلغه على تقرير ذلك المعنى الالهىّ العظيم ، لا بالمنطق ولكن بالعمل ؛ ثم فى النفس وعواطفها لا فى العقل وآرائه ؛ ثم على وجه التعميم دون الاستثناء والخصوص ، وذلك هو سرّ مشقته على النفس بما يفرضه عليها ؛ فان فلسفته أن هذه النفس هى أساس العالم ، وأن النظام الخلقى هو أساس النفس ، وأن العمل الدائم هو أساس النظام ، وأن روح العمل الدائم تكون فيما يشق بعض المشقة ولا يبلغ العسر والحرج ، كما تكون فيما يسهل بعض السهولة ولا يبلغ الكسل والاهمال . وللنفس وجهان : ما تعلن ، وما تُسرّ . ولا صدق لاعلانها حتى يصدق ضميرها ، ولا صلاح لجهرها حتى يصلح السرّ فيها ، ولا يكون الانسان الاجتماعى فاضلاً بمشهده حتى يكون كذلك بغيبه . وللعالم كذلك وجهان : حاضره الذى يمر فيه ، وآتيه الذى يمتد له . ولا يفلح

حاضر منقطع لا يُوَرِّث مابعده كما وَرِث ماقبـــله، وما حاضر الانسانية إلا جزء من عمل الناس في استمرار فضائلهم باقية نامية. وللنظام أيضا وجهان: نظام الرغبة على الطاعة والاطمئنان لها، ونظام الرغبة على الخشية والنَّفْرة منها. ولا يستقيم شأن ليس أساسه الطاعة في النفس، ولا يستمر نظام عليه خلاف من فكر العامل به. وللعمل الدائم طريقتان: إحداهما طريقة الجادّ يعمل للعاقبة يستيقنها، فلا يجد مما يشق عليه إلا لذة المغالبة للنصر، كل مرارة من قبله هي حلاوة فيه من بعد، ولا يعرف للمحنة يبتلى بها إلا معناها الحقيقي وهو إيقاظ نفسه، فيصبح الصبر عنده كصبر المحب على أشياء ممن يحبه؛ صبر فيه من السحر ما يكسو الحرمان في بعض الأحيان خيـال الأستمتاع، ويذيق النفس في العجز عن بعض أغراضها — لذةً كلذة إدراكه.

تلك هي فلسفة الاسلام؛ لا قوام للأمر فيها ولا مساك له إلا بتقرير معنى الدوام لكل أعمال النفس، ووضع طابع الجنة على أعمال الجنة، وطابع النار على أعمـال النار — وحياطة كل فرد من الناس حياطة رياضية عملية بين الساعة والساعة، بل بين الدقيقة والدقيقة، بما يكلف من أعمال جسمه وحواسه، ثم أعمال قلبه ونيته — وتعظيم الشخصية الروحية دون الشخصية المادية، فلا يحاول كل انسان ان يجعل بطنه في حجم مملكة أو مدينة أو قرية بما ينتقص من حقوق غيره؛ بل تتسع ذاتية كل فرد بما يجب له على المجتمع من الواجبات الانسانية. وبهذا لا بغيره تتعين مقاييس الأخلاق في الأرض — بالمصلحة لا باللذة — فلا يقع الخطأ ولا التزوير، وتنحل المشكلة الاجتماعية مادامت الحياة لا تجد من أهلها كل ساعة عقدا فيها.

والاستيلاء بذلك المعنى على العقل والعاطفة هو وحده الطريقة لانشاء طبيعة الخير في الناس على نسقها الطبيعي، كما أنه هو وحده الطريقة لتطهير التاريخ الانساني من أوبائه الاقتصادية التي جعلته كأنما هو تاريخ الأسنان والأضراس.. وتركت الناس يهدم بعضهم بعضاً، كما يهدم الجار حائط جاره ليوسع بيته!

وأساس العمل في الاسلام إخضاع الحياة للعقيدة، فتجعلها العقيدة أقوى من الحاجة، فيكون الفقير معدماً ويتعفف، ويكون الغني موسراً ويتصدق، ويكون الشرهُ طامعاً ويمسك، ويكون القوي قادراً ويحجم؛ وكما قال العرب في تحقيق ناموس الأنفة والحمية وغلبته على الناموس الأقتصادي: تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها.

***

تريد الانسانية امتداداً غير امتدادها التجاري في الأرض، وتحتاج إلى معنى يقود إنسانها غير الحيوان الذي فيه، وإذا قاد الغراب قوماً — كما قال شـــاعرنا — يمر بهم على جيف الكلاب..

والانسانية اليوم في مثل ليل حَوْشيٍّ مظلم اختلط بعضه في بعض، وليست معاني الاسلام إلا الاشراق الالهي على هذه الكثافة المادية المتراكمة، وإذا رفع المصباح لم تجد الظلام إلا وراء الحدود التي تنتهي إليها أشعته.

وقد علمنا من طبيعة النفس أن إنسانية الفرد لا تعظم وتسمو وتتخيل وتفرح فرحها الصادق وتحزن حزنها السامي الأ أن تعيش في محبوب؛ فانسانية العالم لا تكون مثل ذلك إلا إذا عاشت في نبيها الطبيعي، نبي أخلاقها الصحيحة وآدابها العالية ونظامها الدقيق؛ وأين تجد هذا المحبوب الأعظم إلا في محمد ودين محمد؟

وعجيب أن يجهل المسلمون حكمة ذكر النبي العظيم خمس مرات في الأذان كل يوم ينادى باسمه الشريف ملء الجو، ثم حكمة ذكره في كل صلاة من الفريضة والسنة والنافلة يهمس باسمه الكريم ملء النفس! وهل الحكمة من ذلك إلا الفرض عليهم ألا ينقطعوا من نبيهم ولا يوما واحـداً من التاريخ، ولا جزءاً واحداً من اليوم، فيمتد الزمن معها امتد والاسلام كأنه على أوله، وكأنه في يوم لا في دهر بعيد. والمسلم كأنه مع نبيه بين يديه تبعثه روح الرسالة، ويسطع في نفسه إشراق النبوة، فيكون دائماً في أمره كالمسلم الأول الذي غير وجـه الأرض؛ ويظهر هذا المسلم الأول بأخلاقه وفضائله وحميَّته في كل بقعة من الدنيا مكان إنسان هذه البقعة لا كما نرى اليوم؛ فان كل أرض إسلامية يكاد لا يظهر فيها إلا إنسانها التاريخي بجهله وخرافاته وماورث من القدم؛ فهنا المسلم الفرعوني، وفي ناحية المسلم الوثني، وفي بلد المسلم المجوسي، وفي جهة المسلم المعطل... وما يريد الاسلام إلا نفس المسلم الأنساني.

أيها المسلم!

لا تنقطع من نبيك العظيم، وعش فيه أبدا، واجعله مثلك الاعلى، وحين تذكره في كل وقت فكن كأنك بين يديه؛ كن دائماً كالمسلم الأول؛ كن دائماً ابن المعجزة.

**مصطفى صادق الرافعي**

# « محمـــــد »

## للأستاذ علي الطنطاوي

منذ أربعة عشر قرناً ونيف ولد محمد ، فلم يكد يفطن الى ولادته إلا قليل ، وبعد أربعة عشر قرناً ونيف — استضاءت فيها الدنيا بنور محمد ، واهتدت الانسانية بهدْى محمد — مرت بالدنيا ذكرى مولد محمد ، فلم يكد يفطن اليها إلا قليل !

بل لم يعرف بعدُ انسان من هو محمد !.

* * *

على ان العظماء فى التاريخ كثيرون ، وقد عرفهم التاريخ ، ولكنه لم يعرف محمداً ، لأنه ليس فيهم مثل محمد !

عظمة أولئك انهم سبقوا أوانهم ، فعظموا لسبقهم ، ثم جاء أوانهم فساواهم أبناؤه جميعاً ، ثم جاء أوان بعده ففاقهم أهله جميعاً ، ولم يبق لهم إلا عظمة الذكرى

وان التلميذ اليوم يعرف من الطبيعة أكثر مما كان يعرف جاليليو ، والضابط يعلم من فنون الحرب أكثر مما كان يعلم اينبال وطالب الفلسفة يدرك من حقائقها أكثر مما كان يدرك أفلاطون وكذلك سائر العظماء

أما محمد فطراز من البشر لا تحتمل الدنيا منه أكثر من واحد ، ولا يمتد عمرها حتى ترى مثل محمد ، فمحمد عظيم كل عصر ، وعظمته لا تبلى جدتها على الدهر .

* * *

وإن كثيراً من العظماء قد سنوا سنناً ، وشرعوا شرائع ، ولكنهم سنوها ناقصة فكملت ، وقاصرة على زمان واحد فعدلت ، ومحدودة ضيقة فوسعت ، وما زالت أبداً فى حاجة الى التكميل والتوسيع والتعديل . أما شريعة محمد فجاءت كاملة ، وعاشت كاملة ، وستخلد كاملة ، لأنها من عند الله الكامل ، لا من عند العقل الناقص .

وستموت الشرائع كلها ، والعاقبة لشريعة الله

إن روحية الشرق ستطحن مادية الغرب ، ومادية الغرب ستقتل روحية الشرق ، ولا يبقى إلا الأصلح ، والأصلح هو الاسلام

أى دين غير الاسلام يستطيع المرء أن يتمسك بأحكامه كلها ، ثم يكون امرأً صوفياً قوياً غنياً ؟

أى دين غير الاسلام يعرف للبدن حق البدن ، وللروح حق الروح ، ويعرف للدنيا حقها ، وللآخرة حقها ؟

أى دين غير الاسلام فيه الوحدانية فى الايمان ، والشورى فى الحكم ، والاخوة فى الحياة ، والجهاد فى المبدأ ، والقوة والاعتدال فى كل شيء ؟

أى دين غير الاسلام يحل المشكلة الاجتماعية الكبرى ، التى ولدت الشيوعية والفاشية والنازية ، وستلد الموت الأحمر ، والخراب الأكبر ؟

* * *

إن العظماء كثيرون ، ولكن العظيم عظيم فى ناحية ، صغير فى سائر النواحى ، فهو عظيم فى العلم ، أو فى الحرب ، أو فى الأدب ، أو فى السياسة . أما محمد فعظيم فى كل شيء .

وآثار العظماء فى البشر واضحة جلية ، ولكن لم يعمل أحد أجل ولا أجمل مما عمل محمد .

نفخ فى هذه البادية القاحلة ، وهذه الأمة المتفرقة الجاهلة ، فأخرج منها أمة قوية عالمة عاملة .. حملت مشكاة النور ، فى وقت عم فيه الظلام ، وبنورها اهتدى ويهتدى كل انسان ، فى كل مكان الى آخر الزمان ، ولولا محمد ما كانت أوربة ولا الأميركتان !

* * *

كانت الدنيا فى نظر قريش مكة ، كما أن الدنيا فى نظر الفرنسيس باريس ، ولكن دنيا محمد أوسع ، ومحمد لا تسعه مكة ، فأم غار حراء ليشرف على الأفق الواسع ، ثم سما على معراج الى السماء ، فرأى الأرض كبراعة مضيئة ، فاستصغرها ، ولم يحفل بما عليها من ذرات هينة ..

هكذا عاش محمد ، وهكذا انتقل

عاش محمد فى الأرض وهو أكبر من الأرض ، وترك فى الأرض أثراً أكبر من الأرض ، ولم يعرفه فى الأرض أحد من أبناء الأرض — ذلك لأنه كان كما قال لامارتين :

« فوق البشر ، ودون الاله ، فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم »

**علي الطنطاوي**

# احياء المولد النبوى الكريم

## بعض رسوم ومناظره فى مصر الاسلامية

للأستاذ محمد عبد الله عنان

كانت ليلة الثانى عشر من ربيع الأول — ليلة المولد النبوى الكريم — دائماً من المواسم والأعياد المشهودة فى جميع الأمم الاسلامية ؛ وما زال مولد النبى العربى من الذكريات الخالدة فى المجتمع الاسلامى ؛ ولكن الاحتفال بذلك الحادث العظيم فى تاريخ الانسانية كان يقترن فى العصور الخالية، أيام عز الاسلام ومجده ، بضروب من الجلال والبهاء والبذخ ، ذهبت بها حوادث الزمن وتقلباته ، وما انتهت اليه الأمم الاسلامية من الاضمحلال والتأخر . وقد بدأ هذا الاحتفال المقدس فى عصر الاسلام الأول بسيطاً متواضعاً ، كباقى المواسم والاحتفالات الدينية ، فلما بلغت الخلافة ما بلغت من العظمة والبهاء ، ظهرت فخامة الملك وروعته فى الأعياد والحفلات الرسمية ، وجرت الشعوب على سنة ملوكها وأمرائها فى هذه المواسم من الظهور والبذخ . وكان شأن مصر الاسلامية فى ذلك شأن باقى الولايات الاسلامية فى عصر الخلافة الأول من بساطة فى الرسوم والمظاهر ؛ فلما استحالت مصر من ولاية خلافية الى دولة مستقلة فى عهد بنى طولون وبنى الأخشيد وقامت فيها قصور ملوكية باذخة ، ظهر أثر هذا الانقلاب فى رسوم الدولة ومظاهرها العامة ، وغدت المواسم والاحتفالات الدينية حوادث عامة يحييها الشعب ، كما تحييها الحكومة فى كثير من الرونق والبهجة والحبور .

وقد بلغت هذه المظاهر والرسوم الفخمة ذروة البهاء والروعة فى عهد الدولة الفاطمية ، وكانت هذه الدولة القوية الشامخة تتخذ من المواسم والأعياد الدينية والقومية فرصاً للظهور فى أبدع مظاهر القوة والغنى والترف ، وتغمر الشعب فى هذه الأيام المشهودة بوافر بذلها وعطائها ؛ فكان الشعب يستقبل هذه المواسم باهتمام وحماسة ويكثر فيها من الاحتشاد والانفاق والمرح ، تشجعه الدولة على ذلك وتحثه بقدوتها ومثلها . وكان للاحتفال بهذه المواسم رسوم وتقاليد معينة تختلف باختلاف أهميتها الدينية أو القومية . وقد بلغت فى ظل الدولة الفاطمية من الكثرة والانتظام مالم تبلغه فى أية دولة اسلامية أخرى . ذلك أن الخلافة الفاطمية شرعت لنفسها ، الى جانب الأعياد الدينية المأثورة ، أعياداً خاصة بها وبدعوتها ومذهبها الدينى ، فقررت أن تحتفل الى جانب المولد النبوى ، بموالد خمسة أخرى هى مولد أمير المؤمنين على بن أبى طالب ومولد زوجه السيدة فاطمة الزهراء التى ينتسب الفاطميون اليها ، ومولد الحسن ، ومولد الحسين ابنى على ، ومولد الخليفة الفاطمى القائم فى الملك ؛ هذا الى مواسم وأعياد أخرى كيوم عاشوراء (عاشر المحرم) الذى قتل فيه الحسين ، وليلة أول رجب ونصفه وليلة أول شعبان ونصفه وهى ليالى الوقود الشهيرة ؛ ثم كانت هنالك أعياد قومية أخرى كيوم فتح الخليج ، ويوم الميلاد النصرانى ويوم النوروز ، ويوم الغطاس ؛ ذلك أن الخلافة الفاطمية لم تنس أن تشمل رعاياها النصارى برعايتها وتسامحها فى إحياء هذه الأعياد القومية القديمة بصفة رسمية ، وفى أن تسبغ عليها من البهجة والبهاء ما يسبغ على الأعياد الأخرى .

وكان المولد النبوى الكريم فى مقدمة الأعياد الاسلامية المقدسة ، تحتفل به الدولة طبق رسوم معينة ، ويحتفل به الشعب فى فيض من الضجيج والمرح . وقد وصف لنا مؤرخو الدولة الفاطمية المعاصرين ، كابن زولاق ، والمسبحى ، وابن الطوير ، وابن المأمون ، طرفاً من هذه المناظر والرسوم الشائقة ؛ وخلاصة هذه الرسوم ، هو أنه اذا حل المولد النبوى ، يطلق من الخزينة مبلغ كبير برسم الصدقات ، ويطلق من دار الفطرة أربعون صينية فطرة ومن الخزائن سكر ولوز وعسل وزيت برسم خدمة المزارات التى بها — حسب قولهم — بعض أعضاء آل البيت ، ويوزع من الحلوى بضع مائة ألف رطل ، وكذا من الخبز كمية كبيرة . وفى يوم المولد النبوى — الثانى عشر من ربيع الأول — يخرج الخليفة فى موكبه ليجلس فى المنظرة الخلافية المجاورة للمشهد الحسينى ؛ وهى أقرب المناظر الى القصر ؛ وتكون دار الفطرة قد أعدت ثلاثمائة صينية مجهزة بالحلوى اليابسة لتفرق فى كبار الموظفين والقضاة ، وفى مقدمتهم قاضى القضاة وداعى الدعاة ، وقراء الحضرة وخطباء المساجد الجامعة . وعند الظهر يركب قاضى

القضاة فى موكبه من عند القصر ، ويخلى ميدان القصر من الجماهير ، ويترك للجمهور السلوك من ناحية أو اثنين ، ويقوم والى القاهرة بالمحافظة على النظام مع رجاله ؛ ويصل موكب قاضى القضاة من ناحية ، ويصل موكب الحاجب الكبير من ناحية أخرى الى ساحة المنظرة الخلافية وقد فرشت بالرمل ؛ ويقف الجميع فى الساحة متشوفين لرؤية الخليفة . وبعد نحو ساعة يطل الخليفة من احدى الطاقات وعلى رأسه المنديل الخلافى ، ومن ورائه بعض الأستاذين المحنكين[١] ويطل أحد الأساتذة من طاقة أخرى ويقول : « أمير المؤمنين يرد عليكم السلام » ويسلم على الحضور ؛ ثم يبدأ قراء الحضرة[٢] بالقراءة وقوفاً ، ووجوههم الى الجمهور ، وظهرهم الى المنظرة ؛ ثم يلقى خطباء المساجد الجامعة خطبهم ، فيبدأ خطيب الجامع الحاكمى ، ثم خطيب الجامع الأزهر ، ثم خطيب الجامع الاقمر ؛ وتدور الخطبة حول المولد النبوى وقدسيته وفضله ؛ فاذا انتهت الخطابة ، أخرج الأستاذ رأسه من الطاقة ويده فى كمه ورد على الجماعة السلام ، ثم تغلق الطاقتان . وتحتجب الخليفة والأستاذ ، وينتهى الاحتفال ، وينفض الناس[٣]

هذا ، وإلى جانب الاحتفال الرسمى ، يحتفل الشعب فى كل مكان باقامة المآدب الخاصة ليلة المولد النبوى ، وفى مساء يوم المولد ، وتسطع القاهرة فى الليـــل بالأنوار الباهرة ، وتغص الساحات والدروب بالجماهير المحتشدة ، وتكثر النفقة والنزهة ، وتقام أنواع الملاهى والمطاعم العامة ، وتسير السفن فى النيل والخليج محملة بالمتنزهين ، ويكثر البر بالفقراء والمساكين .

وكان الاحتفال بالمولد النبوى فى دول السلاطين المختلفة دائماً من الأعياد الرسمية ، تحييه الحكومة والشعب ، ويشهده السلاطين أحيانا ؛ ولكنه لم يبلغ فى ظل هذه الدول ما كان يبلغه من الفخامة والبهاء فى ظل الدولة الفاطمية .

وفى عصر الحكم التركى ، ذوى بهاء المواسم والأعياد الدينية كما ذوى كل شىء فى الحياة العامة المصرية ، وغلبت عليها التقاليد السخيفة ، ولم يبق لها شىء من تلك الروعة التى كانت تهز قلوب المسلمين ، وتبعث اليها الجلال والخشوع .

***

ويصف لنا الجبرتى طرفاً مما كانت عليه رسوم الاحتفال بالمولد النبوى فى أواخر الحكم التركى وأيام الحملة الفرنسية ، فيقول مثلاً فى وصف احتفال سنة ١٢١٤ هـ ما يأتى :

« وفى يوم الثلاثاء حادى عشره (أى حادى عشر ربيع الأول) عمل المولد النبوى بالأزبكية ودعا الشيخ خليل البكرى سارى عسكر الكبير مع جماعة من أعيانهم وتعشوا عنده وضربوا ببركة الأزبكية مدافع وعملوا حراقة وسواريخ ونادوا فى ذلك اليوم بالزينة وفتح الأسواق والدكاكين ليلاً وإسراج قناديل واصطناع مهرجان » .

ويقول فى وصف احتفال سنة ١٢١٦ هـ ما يأتى :

« وفيه (أى ربيع الأول) نودى بتزيين الأسواق من الغد تعظيما ليوم المولد النبوى الشريف فلما أصبح الأربعاء كررت المناداة والأمر بالكنس والرش فحصل الاعتناء وبذل الناس جهودهم وزينوا حوانيتهم بالشقق الحرير والزردخان والتفاصيل الهندية مع تخوفهم من العسكر . وركب المشار اليه عصر ذلك اليوم وشق المدينة وشاهد الشوارع . وعند المساء أوقدوا المصابيح والشموع ومنارات المساجد وحصل الجمع بتكية الكلشنى على العادة ، وتردد الناس ليلاً للفرجة وعملوا مغانى ومزامير فى عدة جهات ، وقراءة القرآن ، وضجت الصغار فى الأسواق وعم ذلك سائر أخطاط المدينة القاهرة ، ومصر وبولاق . وكان من المعتاد القديم ألا يعتنى بذلك إلا بجهة الأزبكية حيث سكن الشيخ البكرى لأن عمل المولد من وظائفه وبولاق فقط »

وفى وصف احتفال سنة ١٢١٧ هـ ما يأتى :

« فيه (ربيع الأول) شرعوا فى عمل المولد النبوى وعملوا صوارى ووقدة قبالة بيت الباشا وبيت الدفتردار والشيخ البكرى ونصبوا خياماً فى وسط البركة ونودى فى يوم الخميس بتزيين البلد وفتح الأسواق والحوانيت والسهر بالليل ثلاث ليال ، أولها صبح يوم الجمعة وآخرها الأحد ليلة المولد الشريف فكان ذلك »[١]

---

(١) الأستاذون المحنكون جماعة من كبار موظفى القصر اختصوا بالدولة الفاطمية ، وعددهم تسعة ، ومنهم متولى التاج الذى يقوم بوضعه على رأس الخليفة ، وصاحب المجلس الذى يتولى تنظيم المجالس الخلافية الرسمية ، وصاحب الرسالة ، وهو الوسيط بين الخليفة والوزراء والحجاب ، ومدير القصور ، وحامل الدواة ، الخ . . . (راجع صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٨٤ و ٤٨٥)

(٢) قراء الحضرة هم قراء القصر الخصوصيين ، وعددهم عشرة قراء

(٣) راجع فى تفاصيل هذه الرسوم — خطط المقريزى (مصر) ج ٢ ص ٣٩٢ — ٣٩٤ ؛ وصبح الأعشى ج ٣ ص ٥٠١ و ٥٠٢

(١) الجبرتى : (طبع مصر) ج ٣ ص ٨١ و ٢٠١ و ٢٣٥

# من وراء البحر

للدكتور محمد عوض محمد

عزيزى الزيات

لقد غادرت القاهرة وأنا حانق عليك ، غاضب ثائر . وكان مثلى كمثل هذا البحر — بحر الريفييرا — الذى مابرح هائجاً صاخباً . فاستحال علىّ أن أقضى الوقت فى السباحة والاستحمام ، واضطررت أن أقطع الوقت فى الكتابة اليك كما ترى .

أجل ! لقد تركت السواحل المصرية وأنا غاضب منك ، ولحسن حظك أن بينى وبينك هذا البحر الطويل المديد العريض ، وإلا نالك مني بعض الأذى . فانك حاولت فى العدد السابع والأربعين من « الرسالة » أن تفسد على عيشى ، وتقطع عنى الخبز الذى أتبلغ به فى هذه الحياة الدنيا ،

وتفصيل الحديث — إن كنت لم تدرك بعد ماجريرتك — أنك فى العدد الأخير — الأخير بالنسبة الى — حاولت أن تقطع عنى وسائل عيشى ؛ بأن تناولت أفاضل الشعراء بالنقد الشديد . لا لسبب سوى أنهم اتخذوا لأشعارهم عنوانات اقتبسوها من بيئة غير بيئتهم وأرض غير أرضهم ؛ وقد تناولتهم من أجل ذلك باللوم ما شاء لك ذلك القلب القاسى الذى اتخذ جوانحك مستقراً ومقاماً .

وكأنما جهلت — يا أبا رجاء — أو تجاهلت أنني بحمد الله — الذى يحمد على الخير وعلى الشر — ما أكلت الخبز والملح (ومعهما — أحياناً — قليل من الجبن الدمياطى والخيار المصرى) إلا بأمر واحد أؤديه فى هذه الحياة ، وهو تعليم الناس تقويم البلدان . ولست أدرى أدفعتنى فى هذا الطريق ملائكة الرحمة أم شياطين العذاب . لكنه على كل حال هو الطريق الذى سلكت ، والذى آكل منه الخبز والملح فكان الأجدر بمثلك لو أنك ترعى للمودة عهداً أن تشجع الشعراء على أن يقبلوا ما استطاعوا على تلك البيئات البعيدة ، والأقطار النائية ، يلتمسون فيها عنواناتهم وموضوعاتهم ، فيضطرون الى دراسة البلدان والأقاليم ، ويبحثون فى أسفار الجغرافيا عن صفة كل قطر وكل ظاهرة طبيعية ، حتى اذا استوعبوا فهمها واستطاعوا الاحاطة بأسرارها سالت خواطرهم فى وصفها قريضاً بديعاً . . . وهكذا يصبح الشعراء والكتاب طلبة يدرسون علم تقويم البلدان ، ورسلاً لنشر الدعوة الجغرافية وبثها بين طبقات الأمة . وهكذا تروج بضاعتنا التى نأكل منها الخبز والملح ، ومن يدرى ، فقد ينتهى بنا هذا لأن نصبح قادرين على التنعم بأشياء غير الخبز والملح — مما نجهله الآن كل الجهل .

ان واجب الجغرافيا — يا أبا رجاء — هو أن تدنى البعيد وأن تقرب أطراف العالم بعضها من بعض ، وأن تعلمك وأمثالك كيف تتخذون الناس كلهم سكناً ، وكيف تجعلون الأرض كلها داراً .

نريد لكم اليسر والسعة ، ولا نريد لكم العسر والضيق ، نريد أن يطلق سراح الكتاب ، وألا يتقيدوا بسلاسل المكان وأغلال الزمان ، فتنطلق أرواحهم فى العالم الفسيح ، وتشرب من كأس الحرية حتى تروى وتشفى .

ان الجغرافيا هى علم الكون ، علم الوجود ، ولهذا كانت أهم ما فى الوجود من علم . ولهذا وجب على من كان مثلك — مهنته نشر الثقافة — ألا يقول كلمة واحدة تثبط همة المشتغلين بهذا العلم العظيم . .

لهذا أريد منك أن ترجع الى الحق ، وان تعترف معى بأن « وراء الغمام » و « الملاح التائه » وما شابه ذلك عنوانات بديعة ، وأنه لايضير الكاتب الذى يستخدم مثل هذه العنوانات أن ليس فى سماء القاهرة غمام كثير — مع أن فى سماء الأسكندرية من الغمام ما يكفى لألف عنوان ! — كذلك لاضير على الكاتب أن

---

ونستطيع أن نلمح فى الاحتفال الرسمى الذى يقام فى أيامنا احتفاء بالمولد النبوى الكريم بعض رسوم العصور الخالية ، وبالأخص بعض المناظر التى ينقلها الينا الجبرتى عن هيئة الاحتفال فى أواخر العصر التركى ، ولكنا لا نستطيع أن نلمح فيه كثيراً من تلك الروعة التى كانت تطبعه فى عصور المجد والاستقلال ، ولا نستطيع بالأخص أن نلمس آثار ذلك الصدى العميق الذى كان يتردد بين طوائف الشعب ويجعل من المولد النبوى الكريم عيداً دينيا وقوميا عاما يحتفى به الشعب بأسره .

محمد عبد الله عنان
المحامى

يتحدث عن البراكين وجبال النار، والزلازل، وأمثال تلك الظاهرات التي لا نحسها في مصر الا نادراً. ذلك لأننا معشر الجغرافيين نريد أن نبصر ثمار ما بذرناه من علم ونراها تؤتي أكلها في كل مكان.

هذا ما عنّ لي أن أقوله تأنيباً لك على أن حاولت أن تقطع عيشنا في هذا البلد الأمين. وأريد أن أزيد في التنكيل بك بأن أرسل إليك قصيدة كنت نظمتها في وصف «نهر في جبال الألب» فهي كما ترى لم تكتب عن نهر النيل. فاذا أردت أن تلومني في هذا، وليس هذا على جرأتك بعزيز — فاذكر أنني كتبت عن نهر النيل كتاباً كاملاً؛ قد أتعبني في النهار وأسهرني الليل أعواماً طوالاً. أما النهر في جبال الألب فما كان له مني سوى جلسة قصيرة جلستها بجانبه أراقب مجراه، وأصغي الى خريره وزئيره. لم يتنهد له طرف، ولم يدمع له جفن.

وعندي أن الذين يبحثون عن موضوعاتهم في غير بيئتهم لا يضربون لنا مثلاً لما نسميه (الامتيازات) في الأدب؛ بل للاستعمار في الأدب. فما دام الأسلوب عربياً، والصبغة والنزعة عربيتين؛ فلن يضير الشاعر أن يفتش أرجاء العالم في سبيل البحث عن موضوعه، أو عن استعاراته أو معانيه. والذي قد يعاب على الكاتب العربي هو هذا الولع باصطلاحات غربية تبدو للعربي بادية السخف، مثل قولهم «كوبيد رماني بسهم» أو ما شاكل ذلك من الاصطلاحات التي لا طلعت ولا نزلت. وليست عبادة الغربيين مقصورة على شعرائنا بل هي كذلك شائعة في سائر الكتاب ورجال السياسة. فكل نغمة — مهما كانت سخيفة — مطربة لهم ما دامت خارجة من قيثارة غربية. وكل حكم نافذ ما دام صادراً من محكمة غربية. وأكبر عار على الأديب المصري أن يكون إلمامه بأدب الغرب أكبر من إلمامه بأدب الشرق.

***

والآن ما خطب تلك القصيدة التي أريد أن أثأر بها منك: والتي موضوعها «نهر في جبال الألب»؟ انها ليست من جليل الشعر ولا خطيره، ولكني ما دمت أرسلها اليك للتنكيل بك فلن أهتم بتنقيحها وتهذيبها. فها كها:

يحار لبي إذ أرى   مَسيلَ هذا الجدول
وإذ أرى انحداره   يسبق لمح المُقل
لا يستقر في المسير لحظة بمنزل
كأنه مُندفعٌ   بالخوف أو بالأمل
أو سائر لغاية   بعزمة لم تُفلل
يَنقض في انسيابه   مثل هُوِيِّ الأجدل
مِن مَدْفَع لمدفع(١)   وجندل لجندل
فاعجب لماء شبِمٍ   يجيش مثل المرْجل!
مصطخب مضطرب   محتدم منفعل
وهائج في مائج   ومدبر في مقبل
وعابس في ضاحك   ومنجد في مسهل
وأول في آخر   وآخر في أول
مستعجلاً وليس يخشى زلة المستعجل
وليس يُعييه المسيرُ   في الضحى والأصُل
عليه من حبابه   ثوب كأبهى الحلل
رذاذه مثل شرار   ناره لم تشعل
منتثرٍ منتشرٍ   في السهل أو في الجبل

***

شلّالهُ يهوى هُوِيّ شُهب ليل أليل
كعمد من فضة   أو كمُلاء مُسدل
أو حائط من مرمر   يلمع كالسجنجل
أو ذوب بلور هوى   من حالق لأسفل
في صخب ولجب   متصل منفصل
يكاد أن يُسمع من   بالمشترى أو زحل!
زئيره يطغى على   خريره المتصل
مثل زئير الأسد يخفي شدو كل بلبل

***

أصغي اليه صامتاً   في هيبة ووجل
أسمع في خريره   ذكرى العصور الأول
كأنه صوت الزمان   من قديم الأزل
ينبئُ بالماضي وقد   يهمس بالمستقبل
سفر يخط الدهر فيه   كل سطر منزل
من كل معنى مُذْهل   وكل سر مُعضل

***

ياليت شعري إذ أرا   ه في سراه المُعجل

(١) المدفع عند العرب هو حيث يندفع الماء بشدة ومن هذا (مدافع الريان) التي جاءت في معلقة لبيد

بين العلم والأدب

# هل يميت العلم الشعور ؟

بقلم محمد روحي فيصل

« العلم يجفف القلب ويميت الشعور »

رأى أملاه على منذسنوات احد اساتذتى الأدباء ممن لا بأس بلبه وعقله ، ولا يتهم فى فطنته وبصيرته ، ثم سمعته من بعض الشباب الناهض المتأدب ، وقرأته لغير واحد من كبار الكتاب فى مصر والشام والعراق . فاذا الرأى شائع معروف ، ثابت الأصول منبسط الفروع ، يرد ابداً على طرف اللسان وشق القلم ، واذا الناس يخشون العلم ويخافون على قلوبهم ونفوسهم من بأسه وضرره ، واذا هوة سحيقة النأى بعيدة المستقر تفصل العلم عن الأدب وتباعد بين اسبابهما وادواتهما ، اما ان بعض مصطلحات العلم جاف شديد الجفاف فهذا مالا يختلف فيه اثنان ، واما ان قوام العلم المنطق والعقل فهذا حق الى حد ما ، واما ان العلم ذاته يميت الشعور فهذا ما نحب أن نعالجه الآن فى جرأة واخلاص ، ونناقشه فى روية وهدوء . ونحن نغتبط كل الغبطة حين تعنى الصحف والمجلات بالأدب ، تعقد له الفصول الطوال ، وتدعو الى تفهمه ودراسته ، وتبذل لهذا كله قوتها وجهودها ونرجو ان تكون النهضة الأدبية مقدسة مباركة تحفها أشعة من نور وهالة من بهاء ، فليس أدل على حياة الأمة من الفن والأدب يعرض عليك ، فى وضوح ودقة ، ميولها واهواءها وافكارها وسائر مايتردد بين قلبها وعقلها من الخواطر والانفعالات . ولكن مفهومه على النحو الصحيح ما زال مبلبلاً مهلهلاً . ما هو أفقه وغايته ؟ ماهو مقياسه وحدوده ؟ ماصلته بالعلم ؟ ماقيمته فى عالم المعرفة ؟ هذه اسئلة يختلف كتابنا فى الأجابة عليها تمام الأختلاف ، ويذهبون فيها شتى المذاهب

أما نزال بسطاء سذجاً تخدعنا البهرجة الكاذبة ، والطلاوة العابثة ، وتفتننا الألاعيب اللفظية والأناقة الكلامية ؟ ألسنا على ثقافتنا وجلال نهضتنا نجهل مقاييس الأدب الصحيحة ، وحدود الجودة والرداءة ، ومواطن الجمال والدمامة ؟ ألسنا نستحسن ماتنفى منه النفس ؛ وماهو حقيق بالنبذ والأهمال ، ثم نستقبح ماقد يكون فى الذروة من البلاغة الجميلة الرائعة ؟

ذلك ناشىء عن فساد فى الذوق ، وجدب فى التربة ، وكره للعلم وابتعاد عن دراسته وتحصيله ، وعندى ان كل انتاج فى الأدب لم يبدأ بأصلاح هذا الرأى فانما هو محاولة فاشلة فائلة ، ومضيعة للجهود المبذولة فى غير طائل ولا نفع

فى الدنيا جمال ، وفى الدنيا حقيقة ، وفى الدنيا خير . أقانيم ثلاثة تتحد فى السبب ، وتتصل فى الجوهر والعرض ، او هى مثل عليا متداخلة متشابكة ، ففى الجمال حقيقة ، وفى الحقيقة جمال وهكذا . . . فالأدب انما ينبغى أن يستند الى شىء من العلوم التجريبية والنفسية والأجتماعية ، ويعتمد على ما أثبته العلم فى مختلف الميادين والموضوعات ، والأديب والعالم انما يجب ان يتصالحا ويتصاحبا فكلاهما ينظر الى الطبيعة والحياة من ناحية ، هذا يكشف عن حقيقتها وذاك عن جمالها ، وهما بعد يتعاونان على بحثها واجتلائها

فالعلماء مجمعون فيما بينهم على ان غاية العلم انما ينبغى أن تكون البحث عن الحقيقة الخالدة يتحرونها فى كل مظهر من مظاهر الوجود ، لا لنتائجها العملية يستخدمونها فى حياتهم ومعاشهم ، بل حباً فى الأطلاع واشباعاً للنفس . هم يطلبون العلم لذات العلم لا لآراب أخر ، ويلحون فى أن يكون خلواً من الأغراض والمنافع ، بريئاً من كل نزعة تطبيقية . يريدون ان يكون العلم نظرياً محضاً يستهدف الحقيقة فى كنهها وصفاتها ودلائلها ونسبها . يقول هنرى بوانكاريه

---

هل هو رمزٌ للخلو د والوجود الأزلي
أم هو رمزٌ للفنا يـبدو وللتحول ؟
وقد أراه قدوةً لنا وخير مَثَل
لو ان فينا بعض ما فيه من الخُلُق العلي
من شدة وعزمة وقوةٍ وعمل
إذن لكنا دولة بين كرام الدول

والآن أيها الصديق تحية وسلاماً . . . أرجو أن أكون قد نكلت بك كما أردت واشتهيت ؛ وان عدتم عدنا . والى اللقاء ؟

أخوك المخلص
محمد عوض

جوان لي پان فى ٦ حزيران

«ان معرفة الحقيقة يجب أن تكون غاية نهضتنا»[١] ويقول شالى «كلما سما العلم وتجرد عن المقاصد والأغراض فى العصر الحاضر كان للأجيال الآتية اكثر خيراً واعظم نفعاً» [٢]

وليست المادة وحدها بالتى يتناولها العلم فيدرسها وانما هو يبحث ايضاً فى حياة النفس واحداثها ، فهى فى نظره موضوع للتفكير كالمادة سواء بسواء . . فالعلوم على اختلافها انما هى دروب ما تتشعب وتنحرف الا لتلتقى فى نقطة واحدة هى «الحقيقة» . أفتظن ان معرفة هذه الحقيقة التى يبذل العالم لها جهوداً جبارة هى سبيل لتجفيف قلبه ، واطفاء معنى الشعر فيه !! لا ! لعمرى ان العالم الذى يصل الى حقيقة من الحقائق انما تمتلىء نفسه فى الحال بهذا السرور وهذه النشوة العلوية ، فليس أدعى للذة ولا اكثر مجلبة للسعادة من عرفان الحقيقة ! ! أذكر عالماً من العلماء — وأظنه الكيميائى داوى Davy قد أخذ نفسه بدراسة «البوتاسيوم» فى مخبره ، فلما عرف حقيقة الجسم قام حول الطاولة يرقص بهجاً طروباً !! وكان ارخميدس يوماً فى الحمام يجرى عمليته فى سبيكة المعدن ليعرف مقدار الذهب فيها والفضة ، حتى اذا لاحت له الحقيقة خرج فى شوارع المدينة عارياً حافياً يصيح : وجدتها ، وجدتها eureka . . فى خروجه على هذه الحال من العرى والحفاء ، وفى صراخه القوى البهيج ، صورة جامعة تامة الخطوط والألوان للذهول الشديد الناشىء عن اللذة الفجائية الطافرة التى بعثت فى قلبه المشاعر والعواطف ، وأسالت منه أقصى حدود الفرح والبشر ، وطبعت على شفتيه المنفرجتين بسمة حلوة مشرقة ! !

ولعل الحقيقة النفسية اكثر الحقائق مدعاة للسرور ، فهى التى تهمنا قبل كل شىء لأنها تتصل بنا وتؤلف الجانب الأكبر من حياتنا ، فالكشف عنها انما هو اجتلاء افق فسيح عجيب ، ملؤه الجمال والجلال

إن العلوم التجريبية تسمو دوماً من الحوادث والواقع الى القانون . هى تعلو وتعلو فى جو التجريد حتى تحصر مظاهر الكون فى هذا الرمز الصغير المدعو «قانون» . فالقانون علاقة بسيطة تريك هذا النظام الدقيق الذى تتقيد به الطبيعة ، وتخضع له من غير شذوذ ولا مصادفة . فنحن حين نقرر سقوط الأجسام كلها نحو مركز الأرض نوضح هذا التجاذب القوى العام الذى يحصل بين الكتلات ، نوضح ناحية من نواحى الوجود لها قيمتها ولها أثرها . وهذا التجاذب هو فى الحق حلقة من سلسلة النظام الطبيعى . فالقانون هو ، على حد تعبير هنرى بوانكاريه ، أحدث وسيلة لجأ اليها العقل البشرى للتعبير عن هذا النظام الطبيعى . أفلا يروقك أن تلحظ أن فى هذا العالم الذى تعيش بين جوانبه ، والذى أنت عنصر كريم من عناصره العديدة — اتساقاً وانسجاماً بديعين ؟ !

لقد كان الناس فى العصور الخوالى يتطلبون من آلهتهم معجزات خوارق يثبتون بها وجودهم وقدرتهم ، وانما الأعجوبة الرائعة حقاً ألا يكون هناك أية معجزة خارقة ، وأن يكون كل شىء فى الطبيعة يسير على خط منتظم فى حركة منتظمة ، لا اعوجاج فى الخط ولا تزايد فى الحركة ! ! فنظام الطبيعة الذى يكشف عن العلم شيئاً فشيئاً هو مصدر كل جمال وكل شعر ، يبعث فى القلب أسمى الشعور وأدق النزوات . . .

لعل الذى يقول بتجفيف العلم للقلب انما ينظر الى هذه المجازر البشرية ، والى تلك الشرور والآثام التى كان العلم فيها عاملاً قوياً لهتك الفضيلة وسفك الدماء . . هذا صحيح ، ولكن العلم فى ذاته لا يبغى الا هدفاً شريفاً منزهاً عن كل النزعات البشعة ، فهو يصلح للخير ويصلح للشر ، ويستخدم لرفع مستوى الانسانية ويستخدم لتدنيسها ، فليس الذنب ذنبه وانما هو ذنب من حمله ! فأنت تستطيع أن تنقم عليهم ، وتستطيع أن تكيل لهم أشنع النعوت والصفات ، ولكنك مضطر الى أن تقف فى محراب العلم خاشعاً متصدعاً ، تتلو آى الحمد والأجلال ، وترتل أناشيد الحب والأعجاب ! !

أو لعل الذى يقول بتجفيف العلم للقلب انما يزن الحقائق التى اجتلاها الانسان خلال هذه العصور الطويلة ، فوجدها ضئيلة هزيلة لا تعدل ما بذل فى سبيلها من جهود . . وهذا صحيح أيضاً ، فالحقيقة لا تطفو على ظاهر الأشياء ولا تستبين بارزة عارية وانما هى خيال ما يكاد يتراءى للعين والبصيرة حتى يختفى ، ولقد يضطر العالم الى اللحاق به فيعدو ويعدو ، ثم يعود فى الأعم من الأحوال خاسراً خائباً . فتحرى الحقيقة عمل شاق مضن ، ولذا اشترط على العالم الصبر والأناة والجلد . على أن ما علمناه يزيد فى ثراء خزانة

(١) راجع المقدمة من كتاب بوانكاره «قيمة العلم»
(٢) راجع صفحة ٣٢ من كتاب شالى «فلسفة العلم والأخلاق»

المعارف ، ويهيب بنا الى القول أن الانسان الحاضر أرق من الانسان الأول ، وأكثر منه كمالاً . أقول كمالاً ولا أقول سعادة ، لأن السعادة غير منوطة بالعلم أو ناتجة عنه ، ولعلها بالجهل أجدر وأليق ، ولعل العلم يبعث القلق والاضطراب ، ويثير أحلام النفس الغافية ووساوسها الكامنة

***

اكتشاف الحقيقة لا يتم الا بالخيال والعاطفة ، وهما أهم مقومات الشعر والأدب ، يتخذهما العلم فى البداءة جناحاً يطير به ، ووسيلة يلجأ اليها ، فهما أداتان لا غنى له عنهما ، أفيستطيع العالم تبيان مجاهل الكون الا بالتخيل والتصور ، يرسم حدودها وأشكالها على صحيفة مخيلته قبل أن يعرفها بالواقع والمحسوس ؟ أفلم تكن العاطفة والرغبة حافزاً للمعرفة وداعياً الى الاحاطة بها ؟ . . ومع أن العلماء حددوا مدى الخيال ، وألزموا الحس بالبرهان فلقد راضوها كثيراً واستنهضوها كثيراً .

فالمعهود أن ملكة التخيل والفرض قوية نامية عند العلماء والمفكرين ، والمعهود أن كبار الأدباء كانوا علماء أو مثقفين ثقافة علمية متينة واسعة . فهذا جيتى الأديب العبقرى كان عالماً من علماء القرن الثامن عشر ، له فى النبات نظرية « التحور » وله فى طبقات الأرض والأحجار الكريمة آراء محترمة ، يعتقد ببساطة النور ويقول ان جمجمة الرأس انما هى حلقة من حلقات العمود الفقرى تطورت ونمت فصارت الى ماهى عليه الآن من التجسم والضخامة . أما بساطة النور فلا يؤمن بها أحد من العلماء اليوم ، وأما نظرية الجمجمة فلا تتلاءم مع علم الرشيم الحديث فعدل عنها ، وان شئت فقل انها تحورت الى نظرية أخرى . كان جيتى أديباً كبيراً وكان عالماً حقاً ، لم يمنعه علمه من الانتاج فى الفن والأدب ، ولم يمنعه علمه من الاسترسال وراء الخيال الصادق الصحيح ، وهل الخيال الصادق الصحيح الا ظل الحقيقة وصورة الواقع ؟ ؟

انما يكشف العلم عن مصادر خصبة للجمال يجدر بالأديب أن يتأملها ويستوحيها ، يهيج الخيال وينشط العاطفة ثم يسبغ عليهما من روعة الحقيقة ما يلهمهما ويؤججهما ؟

حمص **محمد روحى فيصل**

# فى الأفق الدولى

### جبهة أوربية جديدة

كان اعتراف دول الاتفاق الصغير بروسيا السوفيتية واجتماع السينور موسولينى والهر هتلر أهم الأحداث الدولية التى وقعت فى الأسبوعين الأخيرين . وتوجد بين الحادثين صلة وثيقة ، وكلاهما يرجع الى نفس البواعث والظروف التى تدفع أوربا اليوم الى منحدر شديد الحلك . وقد بينا فى مقال سابق فى الرسالة أن التاريخ يعيد نفسه ، وأن أوربا القديمة تعود فتبدو للعالم كما كانت قبل الحرب مسرحاً للتنافس الحربى وعقد المحالفات السرية ، وتنظيم الجباه الخصيمة . وقد بدأت فرنسا مذ رأت تصميم ألمانيا على تسليح نفسها بتنظيم جبهة سياسية عسكرية تستطيع أن تعتمد عليها فى مقاومة ألمانيا اذا ما نشبت بينهما الحرب ؛ ولما كانت العلائق قد فترت بين ألمانيا وروسيا على أثر قيام الطغيان الهتلرى فى ألمانيا وسحقه للحركة الديمقراطية ومجاهرته بخصومة روسيا السوفيتية ، فقد رأت فرنسا أن تعود فتتقرب من روسيا وأن تحاول إحياء التحالف الذى كان معقوداً بينهما قبل الحرب ضد ألمانيا . فبعثت مسيو هريو رئيس الوزارة الأسبق الى روسيا ليمهد السبيل لهذا التحالف ، ورأت روسيا من جانبها أنها فى حاجة لتوطيد مركزها بين الدول الغربية ، وتأمين سلامة حدودها الأوربية لكى تستطيع التفرغ نوعاً لمقاومة الخطر اليابانى فى الشرق الأقصى ، فرحبت بهذه الخطوة ؛ واستمرت فرنسا فى سعيها لتنظيم هذه الجبهة الشرقية ضد ألمانيا ، حتى استطاعت أن تحمل دولتين من دول الاتفاق الصغير هما رومانيا وتشيكوسلوفاكيا على الاعتراف بروسيا السوفيتية تمهيداً لعقد التحالف بينهما وبين روسيا . وقد جاء اعتراف الدولتين بروسيا على أثر الزيارة التى قام بها مسيو بارتو وزير الخارجية الفرنسية لكل منهما . ونفوذ فرنسا فى رومانيا وتشيكوسلوفاكيا كما معروف ، وهو الذى يوجه سياستهما الخارجية منذ نهاية الحرب الكبرى . ونستطيع أن نقارن بين رحلة مسيو بارتو التى أسفرت عن التمهيد لهذا التحالف برحلة مسيو بوانكاريه

التى قام بها قبيل الحرب الكبرى فى روسيا وما انتهت اليه من توثيق التحالف بين روسيا وفرنسا .

### اجتماع هتلر وموسوليني

وقد كان لهذه الحركة التى قامت بها فرنسا فى تنظيم الجبهة الجديدة وقع عظيم فى ألمانيا لأنها هى المقصودة بها قبل كل شىء . وقد شعرت ألمانيا الآن بخطر العزلة السياسية والاقتصادية التى انتهت اليها ، وكان للسياسة الهتلرية وما أبدته من العنف وقصر النظر أكبر أثر فيها . فنى عام ونصف عام فقط ، منذ قيام الطغيان الهتلرى فى ألمانيا ، فقدت ألمانيا كثيراً من عطف الرأى العالمى ، وفقدت صداقة روسيا السوفيتية وما كانت تتمتع به فيها من مركز اقتصادى ممتاز ، وأثار عنف السياسة الهتلرية عليها كثيراً من الأحقاد فى النمسا وتشيكوسلوفاكيا ، ودفعها بسرعة الى طريق الخراب الاقتصادى . وقد شعر الهتلريون بخطورة المأزق الذى دفعوا اليه ألمانيا ، ولم يجدوا قبلة يتجهون اليها اليوم فى أوربا غير إيطاليا . والسياسة الايطالية تشعر بعطف خاص نحو ألمانيا الهتلرية أولا لما بين الطغيان الفاشستى والطغيان الايطالى من وجوه الشبه فى الوسائل والغايات ، وثانياً لاتفاق الرأى بينهما فى بعض المسائل الخارجية مثل وجوب تنقيح معاهدة الصلح ، وميثاق عصبة الأمم ، وتسوية مسألة نزع السلاح على قاعدة المساواة بين الدول العظمى . هذا وإيطاليا تشعر نحو السياسة الفرنسية فى القارة بغيرة شديدة وتتوجس من عواقبها ولا سيا فى أوربا الوسطى ، وتحقد على فرنسا لأنها تحول دون توسعها الاستعمارى فى أفريقية ؛ والخلاصة أن هنالك أسباباً وبواعث كثيرة تجمع بين ألمانيا وإيطاليا فى الظروف الحالية ، وتقرب بينهما فى الرأى والغايات .

تلك هى العوامل التى حملت هتلر زعيم الوطنية الاشتراكية الألمانية ، وموسوليني زعيم الفاشستية على اللقاء بسرعة للبحث والتفاهم . وقد تم اللقاء بين الزعيمين فى مدينة البندقية ( فنيزيا ) واستمر يومى ١٤ و ١٥ يونيه . ولم تذع تفاصيل شافية عما دار عليه البحث أو تقرر ؛ ولكن المفهوم أنه تناول كل المسائل الخطيرة التى تهم البلدين ، وفى مقدمتها مسألة التوازن الأوربى ، ومقاومة السياسة الفرنسية فى تنظيم الجبهة الخصيمة ، ومسألة نزع السلاح وعصبة الأمم ، ومسألة استقلال النمسا وضمان السلم فى أوربا الوسطى . وقد أفاضت الصحف الألمانية فى أهمية هذا الاجتماع وخطورة أثره فى مستقبل السياسة الأوربية ؛ وكانت الصحف الايطالية أكثر تحفظا . ولا ريب فى أهمية الاجتماع وخطورته ؛ ولكنه من جهة أخرى دليل على خطورة المأزق الذى صارت اليه ألمانيا فى ظل الوطنية الاشتراكية ، وعلى جزعها من عواقب العزلة السياسية التى انتهت اليها ، وشعورها بالحاجة الى التعاون الخارجى .

« ع »

# صور من الحياة البائدة

للآنسة اسماء فهمي

درجة شرف فى الآداب

على ضفاف « بحر يوسف » حيث قام فى العصور السحيقة قصر « التيه » أو « اللابرنته » وفى وسط الحقول النضرة ظهر فى جلال على ربوة تناثرت فوقها نباتات برية مزدهرة يقوم قصر آل عباد الفخيم . ولم يشأ القصر أن ينسجم مع مايحيط به من بساطة فأغرق فى الزخرف والزينة وأبى الا أن يجمع بين إسراف الفن القوطى من تماثيل رمزية وأبراج ، وروعة الفن العربى من نقوش وعمد ، فبدا وكأنه الحسناء التى طمعت أن تزداد حسنا فأسرفت فى الزينة والتبرج ، فهوى جمالها النضر فى خضم من الأصباغ والمساحيق الجامدة . . . ولكن سكان القصر وأغلب زائريه كانوا يقفون مبهوتين امام فخامته ، لأن البذخ والأسراف كانا لديهم مقياس الفن والجمال .

ولم يكن داخل القصر بطبيعة الحال اقل زخرفا أو إغراقا فى التجمل من خارجه . وكان المبدأ الذى اتبع فى تأثيث القصر المنيف هو اقتناء أثمن الأشياء من بلاد الشرق وممالك الغرب وتكديسها فى الغرف دون مراعاة لما بين أنواعها من تفاهم أو تنافر ، والواقع أن أثاث المنزل كان دوليا بكل ما فى الكلمة من معني التباين والتنافر ! وسكان الدار ؟ كانت أيضاً خصالهم وعاداتهم خليطاً من صفات الشعوب فى عصور التاريخ المختلفة ، فلقد جمعوا بين ديمقراطية العرب وسخائهم وتعصب أهل القرون الوسطى فى الدين واحتقارهم للمرأة ، وبين زخرف القرن الثامن عشر وانغماسه فى

التزين ، وأضافوا إلى كل ذلك تفانى أهـل القرن العشرين فى عبادة المادة . .

وكان رب هذه الدار عميد آل عباد الشهيرة فى الفيوم شيخا مسنا معروفا بالتقى والكرم فى عناد وصلابة . ولكن على الرغم من تقواه كان لا يتورع من أن يزيد فى ثروته الطائلة بأى وسيلة تصادفه، وكان إذا أصبح الصباح بادر بالجلوس على حصير متواضع فى أحد أجرانه الفسيحة، وسرعان ما يجتمع حوله فلاحوه واتباعه يبسطون أمامه خصوماتهم ومشاكلهم فيقضى بينهم فى وقار وحزم كما كان يفعل النبيل فى عهد الأقطاع . . حتى اذا ما حان وقت الغداء، أمر باعداد الموائد للاتباع والفقراء ، ويأبى السيد الا أن يأكل معهم برغم احتجاج ابنائه الذين أخذوا بقسط من مظاهر المدنية الحديثة، ودرسوا علم الجرائم الاجتماعية ووقفوا على أن الفقراء والمعوزين من أفتك أنواعها ! ولكن الشيخ كان يرد على مثل هذا الاحتجاج باسما قائلا : إن الفقراء أحباب الله . . واذا ما نادى مناد للصلاة هرول الشيخ الى مسجد القرية تتبعه جموع الرجال. وقد أدى ورع السيد الى تورع الأتباع حتى أكثر الأشقياء جبروتا وعتواً . .

أما زوجة السيد فلم تكن على شيء من نشاطه وبساطته ؛ قضت حياتها كلها قعيدة دارها لم تخرج منها الا يوم وفاة امها منذ اكثر من عشرين عاما . وكانت على جانب عظيم من البدانة لا ترتدى من الأثواب غير الحرائر النادرة التى يطول ذيلها امتارا وراءها . . وتحمل حول عنقها واناملها ومعصميها وفى أذنيها أرطالا من اللؤلؤ والماس والذهب، فضلا عما أكثرت من الأصباغ المختلفة الألوان فى الرأس والوجه واليدين والقدمين فغاصت شخصيتها فى خضم من المساحيق والحرائر والجواهر . . وبدت فى مجلسها كصنم هائل تكدست فوقه قرابين الحلى والجواهر وضعت حيثما اتفق لأرضاء عاطفة الورع . !

وقد كانت بطبيعة الحال لفرط بدانتها وثقل احجارها الكريمة بطيئة الحركة تشتد ضربات قلبها لأقل مجهود ، وقد ترتمى على مقعدها اعياء لمجرد محاولتها النهوض ، فيأتى رهط من الخدم للأخذ بيدها وانهاضها كما لو كانت عجوزاً شمطاء قد قطعت شوطا بعيدا فى طريق العـــدم .

وعلى مقربة من الأم كانت تجلس ابنتها « سمر » وهى غادة هيفاء لولا ضعفها البـادى وشحوبها لما بخل عليها حتى أقسى حسادها بوصف الحسن الرائع ، ولكنها كانت كالزهرة التى اقصيت عن الضوء والهواء فذبلت وتهدلت أوراقها . ولم تحاول الفتاة أن تخفى الشحوب بالأصباغ (وإن كانت قد اجتهدت فى اخفاء النحول بكثرة الكرانيش والذيول) لأن ذلك العهد لم يبح للمرأة أن تتجمل الا اذا كانت ذات بعـل . . أما المذهب الذى يدعو إلى الاهتمام بالفن للفن ، فلم يكن مألوفا عند بنات ذلك العصر، وانما هو من مستحدثات هذا القرن !

***

كرت الأعوام على هذه الأسرة والحياة تسير على وتيرة واحدة لا تنوع فيها الا تغيير انواع الطعام الكثيرة ، وتبـديل الملابس والجواهر التى اكتظت بها الصناديق والخزائن — ولكن لم تلبث الأيام التى تلد العجائب أن تمخضت عن حادث هام أدخل فى حياة الأسرة الراكدة انتعاشا وجدة . . وحول تفكيرها الى مجرى غير مجرى الطعام والشراب والملبس.. فلقد خطب الشاب مراد ابنة عمه «سمر» إلى أبيها، وقبل الشيخ عباد راضياً مسروراً، لأن مرادا كان يمتاز بأسمى صفات الرجولة من نبل وشجاعة وقوة فوق جاهه العريض وجمــاله . وقد فرحت الفتاة سمر عند وقوفها على هذا النبأ ، لأن مراداً كان رفيقها فى عهد الطفولة، وهى وان كانت لم تره منذ زمن بعيد كانت تسمع الكثير عن خصاله وجماله

وكانت الأم منذ اعلان الخطبة لا تطيق ابتعاد ابنتها عن مجلسها ، وفى ذات يوم فاضت عاطفة الأم عند ما تذكرت انه لم يبق على زفاف ابنتها سوى ايام قلائل ، فجرّت نفسها نحوها بمجهود غير يسير ، ووضعت ذراعها الغليظة حول جسم الفتاة النحيل، وقالت وهى تلهث من التعب : — أواه يا ابنتى ! عما قليل ستزفين الى ابن عمك مراد ، لا يحزننى أمر فوق ما يحزننى منك هذا النحول . . اتوسل اليك ياسمر أن تأكلى وتشربى كل ما آتيك به . . وليس هناك من داوء للنحول كشرب كوبة من السمن الخالص أو المحلى بالعسل كل صباح وكل مساء . . انظرى إلى أمك! انها لم تستمتع بهذا الهيكل العظيم من اللحم الذى يحسدها عليه جميع نساء آل عباد الا بفضل هذا الدواء الناجع الذى أشير به عليك الآن . .

فقالت الفتاة وقد توردت وجنتاها حياء لذكر موضوع الزفاف،

آسف لا يلامك يا أماه . . سأحاول مرة أخرى تعاطى هذا الدواء ، ولكني أوثر البقاء بجانبك طول الحياة ... انى لأرتعد فرقا عند ما أفكر أنى سأغادر هذه الدار المحبوبة قريباً لأذهب إلى دار غريبة لا أعلم من أمرها أو من أمر ساكنيها الا ما أسمعه من أفواه الرواة .. انى لم أر عمى « قاسما » الا مرات معدودة ، كنت فيها لا أجسر على مخاطبته أو النظر فى وجهه استحياء . . أهوَ طيب القلب يا أماه ؟ وزوجه ؟ أحقاً ما نسمعه من أنها شديدة الورع ؟ . .

أجابت الأم وهى تحاول إخفاء تأثرها : عمك يا ابنتى كأبيك نبيل كريم. أما زوج عمك فهى شديدة التقى كثيرة التعبد، ولكن ذلك قد لا يمنعها من ان تتصف برذائل الحماة . . وما ادراك يا سمر ما الحماة . . انها نار الله الموقدة ، أو احد شياطين الجحيم المردة .. انى يا ابنتى لم اتذوق طعم الحياة الرغيدة الا بعد أن ماتت حماتى !.

ارتعدت فرائص الفتاة عند سماع هذا القول وأبرقت عيناها ببريق الكره والخوف معاً ، وقالت والعبرات تكاد تحبس صوتها : — وماذا أنا فاعلة يا أماه ؟ . .

— إخضعى لحكم القدر ، واستعيني برب الفلق على شر ما خلق ! . .

انهمرت عبرات الفتاة على الرغم من ايمانها الشديد . ودخل أبوها مهرولاً فى تلك اللحظة فانقطع مجرى الحديث ، لأن الفتاة أسرعت بالاختفاء إذ أصبحت لا تجرؤ على مواجهة أبيها منذ خطبتها مدفوعة بعامل الحياء الشديد . . . ولم يحاول الأب استبقاء فتاته وان كان الموضوع الذى أتى ليعالجه مع امرأته يعنى الفتاة دون سواها ، لأنه أتى طبعاً ليتكلم فى موضوع العرس ، هذا الأمر الذى كان محور حديث الأسر ، ماعدا الفتاة التى قضت عليها التقاليد بكتمان آرائها ورغائبها وعدم الخوض فى موضوع الزواج . .

قال الأب بعد فترة سكون لم تحاول الأم بدء الحديث فى أثنائها برغم تشوقها للوقوف على أحدث تفاصيل موضوع العرس ، لأنها كانت تهاب الزوج وتخشاه .

سيتم كل شئ بعد أيام باذن الله على رغم تجدد الخلاف بيني وبين أخى قاسم من جراء اقتسام تركة أمنا المتوفاة . إنه يصر على أن يأخذ منها ما وقع عليه اختياره ، وينتهز فرصة العرس ليحملني على التساهل .. كلا .. ومن بيده الملك ، ولو آل الأمر الى دك أعلام الزينة واطفاء أنوار الأفراح . .

قالت الأم بصوت خافت لا يخلو من رعشة الوجل : — ولكنا لا نجد عريساً لابنتنا خيرا من مراد ، فلا تحجم عن التضحية من أجله .

فأجاب الأب وهو يرتجف من شدة الغضب : انك شديدة الغباوة يا « مُني » . . انى قادر على مصاهرة من يدفع لى من المهر أضعاف أضعاف مادفع أخى لابنتى — لقد كانت على عيني غشاوة عندما قبلت هذا المهر من اللئيم أخى . .

أخذت الأم تحس بالجبن والخوف أمام غضبه ، فقالت باستسلام انك على حق دائماً يا سيدى . .

نهض الشيخ بخفة الشباب وأسرع للاشراف على معدات العرس ، اذ كان قد وطد العزم على اتمامه فى اليوم التالى منتظراً من ورائه اتمام صفقة رابحة ، وهذا نفس ما كان يرجو أخوه . .

***

نصب السرادق وسطعت الأنوار ، وصدحت الموسيق ، وأطلقت البنادق وزغردت النساء ، وظهر قصر آل عباد فى حلة قشيبة من الزينة والبهاء فى ليلة الزفاف . وأسرع وجهاء القوم بالحضور الى الفيوم من الدلتا والصعيد ، ليروا أبرع نموذج فى البذخ والاسراف ، اذ كان لآل عباد من الشهرة ومن الثروة ما كان لخماروبه وكافور الأخشيد . . واكتظت حجرة العروس بكرائم العقائل وكرائم الجواهر، وتعالت أصوات المغنيات البدينات بالغناء ، وأخذن فى الرقص والانثناء أمام العروس كالحيات . .

ولكن العروس كانت عن كل ذلك فى شغل، فقد غلب عليها الخوف فتركت العنان لعبراتها ، ولم يستغرب منها أحد هذا الأمر، لأن بكاء العروس ليلة الزفاف كان من الأشياء المألوفة المرغوبة ، اذ كان يعد رمز الحياء ودليل الوفاء والطهر . . . ومن جفت دموعها فى تلك الليلة فقد حكم عليها بالجرأة وغلظة القلب . .

ولم تلبث الحياة أن استعادت مجراها الطبيعى الهادئ وانقشعت سحب الرهبة والخوف التى طالما تجمعت فى سماء حياة الفتاة قبل الزواج ، اذ وجدت فى قرينها من العطف والود ما أنساها شكوكها وملأها سعادة وحباً واخلاصاً له . وفى ظل زوجها ورعايته نسيت أقوال أمها عن الحماة الشريرة ، بل إنها وجدت فى حماتها قديسة طاهرة لا تحمل فى نفسها إلا التسامح والعطف . .

وهكذا نعمت الفتاة بعيشها ، وساعدتها وداعتها ورقتها وطيب عنصرها على ادخال السرور على من حولها . .

***

ومضت أشهر قلائل والفتاة لا تفكر فى مرور الوقت ولا تكترث لمعرفة الأيام ، اذ لم تكن ترقب حدوث تغيير أو وقوع جديد ، لأنها كانت راضية عن حياتها كل الرضا ، لا تعرف ولا تطمع فى خير منها . . ولكن هل يغر بطيب العيش انسان ؟

خرج مراد كعادته مبكرا مشرق الجبين للاشراف على شئون مزارعه ، وجلست الفتاة فى ردهة فسيحة أنيقة تخيط بعض الثياب لأطفال الفقراء ، اذ كان لا يسعدها أكثر من رؤية ابتهاج الأطفال عند ارتدائهم الثوب الجديد ، واذا بها تسمع جلبة أصوات فى فناء الدار ، فأرهفت السمع ، وسرعان ما تبينت صوت أبيها يتهدج بالغضب وعمها يجيبه بحدة ، ثم انقلبت المحاورة الى شجار عنيف وتقاذف بالتهم والعبارات الجارحة ، فاضطرب فؤادها ونزلت مسرعة تبحث عن من يأتى بزوجها ، اذ توقعت حدوث أمر رهيب ، وشعرت بحاجتها لحمايته . ولكنها لم تكد تخطو خطوات حتى سمعت أباها يناديها بصوته الهائل الأجش فوقفت مذعورة لا تبدى حراكا . .

وسرعان ما وقعت على مسامعها كلمات كانت كالحكم عليها بالموت «هيا معى يا سمر . . ليس لك بقاء بعد اليوم فى هذا البيت . . الترمل خير لك من العيش فى هذا الجو الموبوء بالخداع واللؤم . . عمك يأبى الا الاستيلاء على أطيب جزء من ميراث جدتك . . لقد أنذرته بفسخ زواجك من قبل إن هو أصر . . »

— ولكن يا أبت . . ألا ننتظر عودة مراد ؟ . أليس له فى الأمر شئ . . ؟

— له فى الأمر شئ ؟ ! ما هذه الجرأة يا بنية ؟ أتجرئين على مجادلة أبيك ابتغاء مرضاة زوجك ؟ — لا تزيدى حرفا . انطلقى أمامى الى دار أبيك .

أصابت الفتاة رعشة واعتراها دوار ، فسارت أمامه متثاقلة وضاق أبوها ذرعاً بهذا البطء ، فجذبها مسرعاً الى حيث كانت بانتظاره المركبة . .

انطلقت الخيل تنهب الأرض نهباً ، ولزمت الفتاة الصمت ، بينما كان أبوها يصب جام غضبه على الحوذى ويتهمه بالبلادة والبطء ويتوعده باستعمال السوط !

تزاحمت الأفكار السوداء فى رأس الفتاة الصامتة فداخلها الندم ، لأنها تذوقت طعم السعادة ، وودت لو أنها كانت تعسة فى حياتها الزوجية ، حتى كانت تفرح بالفرار منها والعودة الى دار أبيها . . وأحزنها أنها لم تجد فى حماتها شيطاناً مريدا ، وأن زوجها لم يكن جباراً عتياً . .

وأخيراً عند ما لاحت أبراج القصر خاطب الوالد فتاته بعطف اذ كانت قد بردت ثورة الغضب :

ألا تبتهجين برأى أمك يا سمر ؟

ولما لم تنجح الفتاة فى تكلف الانشراح خاطبها قائلا :

لا أشك فى أن عمك قاتلها وزوجك مراداً سيحضران الينا خاضعين ذليلين عند ما يشعران بفقدك ، ولا إخالهما الا قادمين قبل انطواء أسبوع واحد . .

ولكن مرت أسابيع وأشهر ، واكتملت دورة الأرض حول الشمس ومراد وأبوه لم يقدما ، على أن الفتى كان يرغم ارغاماً على الخضوع لأبيه ، اذ كان كالفتاة عبداً للتقاليد الجائرة .

وكانت الفتاة تتظاهر بالشجاعة والابتهاج عندما شعرت بحزن أمها من أجلها . ولكن مجهود التكلف المضنى والآلام المبرحة التى كانت تأكل قلبها سرعان ما أنهكت قواها وأفسحت الطريق للمرض العضال الذى لا يعرف الرفق بالشباب ولا الجمال ، ولما اشتد بها الألم أشفق عليها ملاك الموت فأسرع لنجدتها وبسط على تلك النفس الطيعة الوفية جناح الرحمة الأبدية . .

أسماء فهمى

# العلم يبحث عن الله

ترجمنا هذا المقال لكاتب انجليزي بالعنوان المتقدم ، وعنينا كل عناية بالمحافظة على معانيه وبافراغها فى قالب عربى أقرب مايستطاع من القوالب الأصلية ، ولزمنا هذه القوالب أحياناً اذ لم نجدها مختلفة عن العربية ، لأننا كثيراً مانرى الترجمة تخالف الأصل فى المعانى وفى الألفاظ . وليس لذلك من سبب سوى مبالغة المترجم فى تقريبها من العربية فتكون النتيجة شرودها عنها جميعاً

***

جلست ذات ليلة شديدة البرد بجانب الأب رولند العالم اليسوعى عند قاعدة التلسكوب الكبير فى مرصد ستونيهرست فى آكام لنكشير

ولم يكن هناك نور سوى وهج سيجارتينا وبعض النجوم المتلألئة التى كنا نرعاها من الشق المعقوف فى قبة المرصد

ولم يسمع حس سوى دوى الجهاز المعد لادارة التلسكوب وجعل حركته مطابقة لدوران الأرض .

وكنت قد رأيت جبال القمر ومجموعة الكواكب الذرية المعروفة باسم الثريا . فجعلت الآن أمتع بصرى بذلك السـدام الغريب فى برج الجوزاء ، وأنا بين عاملين من الخوف والدهش مما لاتجلبه المناظر الأرضية

فالتفت الى صاحبى وقلت : « تعلم عن هذا الفلك المدار مالايعلم معظم الناس ، لأنك قضيت ردحاً من عمرك فى رصد النجوم فاصبحت لذلك أكثر ادراكاً منهم لصغر شأن الانسان بالنسبة الى سائر الكون . فان الارض ليست سوى ذرة من الغبار وهى عائمة فى الفضاء الخضم غير المحدود ، والنوع الانسانى كله صغير القدر بالنسبة الى قدر الأرض . فلست أفهم كيف تؤمن أنت من بين سائر الناس بالله واهتمامه بأناس مثلنا » .

ولما فرغت من سؤالى هذا بقى القسيس العالم صامتاً هنيهة ثم قال :

« أفهم حقارة شـأن الارض لا حقارة النوع الانسانى ولا حقارة أرواح الناس »

فلم أحر جواباً حينئذ ، ولا جواب عندى الآن ، لأنى أدرك أكثر مما أدركت قبلاً أنه اذا كان العالم متديناً كان أحسن ديناً لأنه عالم . وهو يرى حينما كان أن البرهان يدعم ايمانه لا لأنه يحتاج الى البرهان ، ولكنه يسر اذ يجده هناك

طالعت منذ عهد قريب كتاباً اسمه « القصد الأعظم » وفيه فصول كتب كلا منها عالم معروف ، أبان فى الفصل الذى كتبه أن يد الله وعقل الله وراء كل نظام ورقى فى الطبيعة . وقد جاء فى مقدمته « ان غرض الكتاب أن يبين أن العلم ليس بهادم للدين ولا بحال محله ، بل إنه يكشف له الحجاب عن عالم للغيب أوسع من عالم الشهادة هذا وأجل شأناً فيضع بذلك أساساً أثبت للايمان »

ان الكون بالرغم من عظم اتساعه وتعقد تركيبه وتعدد محتوياته الى ما لا حد له هو جسم كلى عضوى متسق التركيب ، ومصنوع من عناصر واحدة جوهرية ، وخاضع لنواميس واحدة

ومن أدلة النظام والعقل فى الكون أن عقل الانسان استطاع أن يستخرج هذه القواعد العظيمة العامة ويتوسل بها الى بلوغ قوة الأنباء بالمستقبل . فهذا الكون كون مصحوب بالفكر وأكثر من الفكر — كون يمثل فكر روح واجب الوجود وغير محدود

كتب البروفسور كروذر من جامعة ردنج فصلاً عن الاشعاع فعرفه بأنه « المادة الأساسية التى صنع الكون منها » فالنور والحرارة وأمواج اللاسلكية وأشعة اكس — هذه كلها صور للاشعاع واقعة تحت حسنا . والمادة نفسها مصنوعة من اشعاع مقيد بقيود كهربائية . قال :

« فى زمان بعيد جدا اهتز ذلك الخلاء الفارغ فظهر فيه البروتون والالكترون فتكون من بعضها تلك النظم الثابتة المعروفة باسم الجواهر الفردة التى صنعت المادة منها . وانحل البعض الآخر على مر الزمان الى اشعاع صرف . وقد قطع العلم منـذ ابتدائه أجوازاً كثيرة وكشف بقاعاً كثيرة كانت مجهولة ، ودار دورته حتى جابه العلم الحديث سر عمل الخلق فلا يجد لوصفه كلاماً أكثر مطابقة له من قول الشاعر العبرى « وقال الله ليكن نور فكان نور » (يريد بالشاعر العبرى موسى الكليم)

وخذ البروتوبلازم — أى المادة التى تكونت الحياة منها . فقد عرف تركيبها الكيميائى ، ولكننا لم نستطع تركيب الحياة : فالاميبا أدنى أنواع الحيوان وأبسطها تركيباً مؤلفة من

# ٥ ـ أعيان القرن الرابع عشر

للعلامة المغفور له احمد باشا تيمور

## الشيخ محمد العباسي المهدي

الحنفي

هو ابن الشيخ محمد امين ، ابن الشيخ محمد المهدى الكبير الشافعي ، كان جده المذكور من الأقباط ، فأسلم على يد الشيخ العلامة محمد الحفنى ، وقرأ عليه وعلى أخيه الشيخ يوسف الحفنى وغيرهما حتى صار من كبار العلماء ، وترشح لرياسة الأزهر بعد الشيخ الشرقاوى ولكنها لم تتم له ، وتولاها الشنوانى ، وقد أطال الجبرتى فى ترجمته . ثم نشأ ولده الشيخ محمد امين عالماً حنفياً وتولى الفتوى بمصر زمناً ، وتوفى سنة ١٢٤٧ .

وولد المترجم باسكندرية سنة ١٢٤٣ فقرأ بها بعض القرآن ، ثم حضر الى القاهرة سنة ١٢٥٥ فأتم حفظه ، واشتغل بالعلم سنة ١٢٥٦ فقرأ على الشيخ ابراهيم السقاء الشافعي ، والشيخ خليل الرشيدى الحنفى ، والشيخ البلتانى وغيرهم ، ثم صدر أمر ابراهيم باشا بن محمد على بتوليته افتاء الديار المصرية فى منتصف شهر ذى القعدة سنة ١٢٦٤ وهو فى نحو الحادية والعشرين من سنيه ، ولم يتأهل بعد لمثل هذا المنصب الكبير ، ويقال إن السبب فى ذلك عارف بك الذى تولى القضاء بمصر ، وكانت له صلة بأبى المترجم . فلما ذهب ابراهيم باشا الى القسطنطينية ليتسلم من السلطان مرسوم ولايته على مصر قابله عارف بك ، وكان إذ ذاك شيخاً للاسلام وأوصاه خيراً بذرية الشيخ المهدى ، وأن يولى منهم من يصلح لمنصب أبيه ، فكان همه السؤال عنهم بعد عودته لمصر ، وطلب المترجم لحضرته فصادفوه فى درس الشيخ السقاء يحضر مقدمة مختصر السعد ، فركب اليه وهو بين الخوف والرجاء ، ولما قابله أثنى عليه لاشتغاله بالعلم ، ثم أنبأه بأنه ولاه منصب الفتوى بمصر ، وعزل عنه الشيخ احمد التميمى الخليلى وخلع عليه خلعة هذا المنصب ، ثم عقد له مجلساً بالقلعة حضره حسن باشا المنسترلى والشيخ مصطفى العروسى وغيرهما ، فأقروا على اقامة أمين للفتوى يقوم بشؤونها حتى يتأهل صاحبها لها ويباشرها بنفسه ، واختاروا له الشيخ خليلاً الرشيدى الحنفى بدل الشيخ على البقلى أمين فتوى التميمى ، ونزل المترجم من القلعة بموكب كبير من العلماء والأمراء ووفد الناس على داره للتهنئة ، ومدحه الشعراء ، فمن ذلك قول الشيخ محمد شهاب :

| | |
|---|---|
| عز يا عزة الحمى أن تقاسي | بمهاة الصريم فيما تقاسى |

ومنها قوله :

| | |
|---|---|
| تب مفتى الهوى وتبت يداه | ضل شرعىّ نهجه والسياسى |
| فدعيه يا عز عز اصطبارى | ان فتواه فتنة للناس |
| ولئن قلت أى فتوى البرايا | حكمت بالنصوص دون التباس |
| وارتضاها الزمان قل لى وأرخ | قلت فتوى مهديه العباسى |

١٢٦٤

وهى قصيدة طويلة ألحق بها هذه الأبيات الثلاثة مشيراً فيها الى التميمى والى الرشيدى أمين الفتوى الجديد

| | |
|---|---|
| قلت لما أن تم بدر التميمى | واعتراه نقص الخسوف الشديد |
| رجع الدر بالفتاوى الى ما | كان فيه من المكان المشيد |
| فلنعم الرشيد يا ابن أمين | ولنعم الأمين يا ابن الرشيدى |

وروى الفاضل محمد افندى التميمى فى الترجمة التى جمعها لأبيه الشيخ احمد التميمى ان سبب عزله عن الافتاء أحقاد قديمة كانت

---

بروتوبلازم صرف ، وهى قطرة صغيرة من المادة الجلاتينية تعيش فى الماء . وقد حاول كثيرون أن يصنعوا الاميبا من المواد الكيمائية التى يتألف البروتوبلازم منها فعجزوا عن ذلك . فالمواد مضبوطة والنسبة بينها صحيحة والأحوال المحيطة بها ملائمة تمام الملاءمة ، ولكن الشرارة الحيوية لا وجود لها ، اذ الله وحده هو الذى يصنع الحياة

قال البروفسور آرثر طمسن : « لا مناص لنا من التسليم بالأولية التى وضعها ارسطو طاليس وهى أنه فى كل سلسلة من الأعمال المتصلة لا يمكن أن يظهر فى آخرها شىء لم يكن نوعه موجوداً فى أولها . ولذلك فان عقلنا وقصة تحرره يقود اننا راجعين بنا شيئاً فشيئاً الى العقل الأعظم الذى بغيره لم يكن شىء مما كان »

وبعبارة أخرى أنه كيفما فحص العالم تركيب الكون ونواميس الطبيعة ونشوء الحياة حتى عقل الانسان لم ير مفرا من التسليم بأن وراء القصد الأعظم يد الله .

ب . د . س

فى صدر ابراهيم باشا منه بسبب معارضته له فى أمور تخالف الشرع كان يريدها ويعارضه الشيخ فيها ، فلا يجد بداً من الاذعان بسبب اقبال أبيه محمد على على الشيخ ، فلما تخلى عن ولاية مصر وتولاها ابراهيم كان أكبر همه عزله عن الافتاء . انتهى .

ثم أكب المترجم على الاشتغال بالعلم خصوصاً الفقه حتى نال منه حظاً وافراً ، وجلس للتدريس بالأزهر لاقراء الدر المختار فقرأ منه الى كتاب الطلاق وأكمل قراءته فى داره ، وقرأ الأشباه والنظائر فى داره أيضاً ، وباشر أمور الفتوى بعفة وأمانة وتدقيق وتحقيق ، واشتهر بين الناس بالحزم والعزم وعدم ممالأة الحكام ، وحسبك وقوفه فى وجه عباس باشا الأول وتعريضه نفسه للتهلكة صيانة لما استودع من أمانة العلم ، وسبب ذلك أن هذا الوالى أراد أن يمتلك جميع ما بيد ذرية جده محمد على مدعياً انه ورد مصر لا يمتلك شيئاً ، فكل ما خلفه لذريته إنما هو من مال الأمة يجب رده اليها ، ووضعه بيد أمينها المتولى شؤونها ، واستفتى المترجم فلم يوافقه وأصر على الامتناع ، ولم يحفل بوعيده وتهديده حتى طلبه فجأة الى بنها فسافر اليها وهو موقن بالهلاك ، وكان معه عند طلبه الشيخ أبو العلاء الخلفاوى ، فسافر معه لمؤانسته ومواساته ، فلما وصلا قصر بنها روجع المترجم فى الفتوى فأصر على قوله الأول ، فأمر بهما فأنزلا الى سفينة بخارية سافرت بهما ليلاً فى النيل لنفى المترجم الى أبى قير ؛ واعتراه لشدة وجله زحير كاد يودى به وهو مع ذلك مصر على قوله ، والشيخ أبو العلاء يهون عليه الأمر ويؤانسه بالكلام الى أن صدر الأمر بارجاع السفينة ، وأنزلا منها وأمرا بالسفر الى القاهرة وسلم الله . فكانت هذه الحادثة سبباً لعلو قدر المترجم فى النفوس واعظام الولاة فمن دونهم لشأنه ؛ وتسبب منها أيضاً إقباله على الشيخ أبى العلاء المذكور وسعيه له فى المناصب التى تولاها وعظم بها أمره بعد ذلك .

ثم لما كانت سنة ١٢٨٧ والمتولى على القطر الخديو اسماعيل باشا ، وكان انحرف عن الشيخ مصطفى العروسى شيخ الأزهر ، فأراد عزله ولكنه خشى الفتنة ، لأنه شىء لم يقع من قبل لأحد من مشايخ الأزهر ، فأخذ فى جس نبض العلماء وسبر غورهم فى ذلك ، فهون عليه الشيخ حسن العدوى الأمر ، وأوضح له أنه وكيل الخليفة ، وللخليفة أن يعزل من يشاء ، والوكيل له ما للأصيل ،

فسر الخديو وبادر الى عزل الشيخ العروسى فى أواخر السنة المذكورة ، وكان العدوى يطمع فيها ، وما قال ما قال إلا توطئة لنفسه فأخلف الله ظنه ، وصدر أمر الخديو فى منتصف شوال بتولية المترجم والجمع له بين منصب الافتاء ومنصب الأزهر ، فاستدعاه وخلع عليه وأنزله من عنده بالموكب المعتاد . فباشر شؤون منصبه بحزم وعزم وتؤدة وتعقل ، وكان أول ما صدر منه سعيه لدى الخديو باعادة ما كان لأهل الأزهر من المرتبات التى أبطلت زمن عباس باشا ، فوافقه على ذلك وأعيدت المرتبات الشهرية والسنوية ، ثم استصدر أمراً من الخديو بوضع قانون للتدريس ، فأجابه الى ذلك ووضع قانون الامتحان ، وكانوا قبل ذلك لا يمتحنون بل كان من تأهل للتدريس تصدر له ، فيحضر أول درس له شيوخه وغيرهم من كبار العلماء ، ويناقشونه فان وجدوه أهلاً أقروه وإلا أقاموه .

ولم يزل المترجم سائراً فى طريقه المحمود ، ملحوظاً بعين التبجيل من الحكام ، وبين الخاص والعام ، حتى ثارت الثورة العرابية المشهورة ، ورأى فيه العرابيون أنه ليس بالرجل الذى يوافقهم ويساعدهم فى مطالبهم ، فكان من جملة ما طلبه عرابى باشا من الخديو لما زحف بالجيش على قصر عابدين عزل المترجم من الأزهر ، فعزل عنه فى المحرم سنة ١٢٩٩ ، وتولى عليه بدله الشيخ محمد الانبابى ، وانفرد هو بالافتاء ، ثم تجسمت الفتنة وجاهر العرابيون بطلب عزل الخديو ، وكتبوا قراراً بذلك أجبروا العلماء والوجهاء على التوقيع عليه ، فامتنع المترجم من موافقتهم على ذلك ، وقال لحامل القرار : أنا لا أوقع بيدى ، فاذا كان فى الأمر غصب فان خاتمى معى خذوه ووقعوا أنتم بأيديكم كما تشاءون . فانحرف عنه العرابيون وضايقوه وبثوا عليه العيون حتى احتجب فى داره التى على الخليج بالقرب من مدرسة الفخرى المشهورة بجامع البنات ، وتحامى الناس زيارته ، وصار لا يخرج منها إلا لصلاة الجمعة فى أقرب مسجد اليه ؛ ومرت عليه أيام وليال قضاها فى انتظار حتفه فى كل ساعة تمر به ، حتى كانت الهزيمة الكبرى على العرابيين ، وتشتت شملهم ، وعود الخديو الى مقر ملكه فى ١٢ ذى القعدة من تلك السنة ، فذهب المترجم فيمن ذهب للسلام عليه وتهنئته بالظفر ، ودخل مع العلماء نخصه الخديو بترحيب

ورعاية زيادة عمن معه من العلماء تقديراً لحسن بلائه فى الاخلاص له مدة الفتنة ؛ ولحظ الشيخ الانبابى شيخ الأزهر إغماضاً عنه من الخديو ، وخشى أن يعزله ليعيد العباسى ، فقال بيدى لا بيد عمرو ، واستقال بعد أيام ؛ فأصدر الخديو أمره يوم الأحد ١٨ منه باعادة المترجم الى الأزهر ، علاوة على منصب الافتاء الذى بيده ، ونصه موجهاً لرئيس النظار :

( إنه بناء على استعفاء حضرة الأستاذ الشيخ محمد الانبابى من وظيفة مشيخة الجامع الأزهر ، ووثوقنا بفضائل وعالمية حضرة الأستاذ الشيخ محمد العباسى المهدى ، قد اقتضت ارادتنا توجيه هذه الوظيفة لعهدته كما كانت قبلاً ، علاوة على وظيفة افتاء السادة الحنفية المتحلى بها من السابق ، وصدر أمرنا للمومى اليه بذلك فى تاريخه ، ولزم اصدار هذا لدولتكم إشعاراً بما ذكر فى ٢ اكتوبر سنة ٨٢ الموافق ١٨ ذى القعدة سنة ٩٩ ) .

فتمت للمترجم رياسة الأزهر على رغم أنف كثيرين ، فان بعض علماء الأزهر سعوا لتنصيب الشيخ عبد الهادى نجا الابيارى ، وكتبوا كتابة بذلك وأخذوا يوقعون عليها ، ويطوفون بها على العلماء ، فلم يشعروا إلا وقد فاجأهم الأمر باعادة المترجم ، وذهب سعيهم وتعبهم أدراج الرياح .

ثم استمر المترجم جامعاً للمنصبين قائماً بشؤونهما أتم قيام ، حتى كانت سنة ١٣٠٤ وفيها بلغ الخديو أن جماعة من الأعيان والتجار مثل محمد باشا السيوفى ، وأخيه أحمد باشا يجتمعون للسمر بدار المترجم فى أغلب الليالى ، فيتكلمون فى الأمور السياسية ويظهرون أسفهم من وجود الانجليز بمصر ، وموافقة الحكومة لهم فيما يحاولون ، وغير ذلك من هذه الشؤون ، فحنق الخديو وأرسل لمحمد باشا السيوفى بالحضور فلم يجدوه ، بل وجدوا أخاه احمد باشا ، فحضر الى القصر وقابل الخديو ، فوبخه توبيخاً شديدا وقال له : يخيل إلىّ أنكم تريدون إعادة الثورة العرابية ، فتبرأ من ذلك وحلف أن اجتماعهم لم يكن إلا بقصد السمر والائتناس ، ثم قابل الخديو المترجم فى إحدى المقابلات الاعتيادية فلم يهش له كعادته ، بل قال له وقت الانصراف : ياحضرة الأستاذ ، الأجدر بالانسان أن يشتغل بأمور نفسه ، ولا يتدخل فيما لا يعنيه ويجمع الجمعيات بداره . فلم يجبه المترجم إلا بقوله : أطال الله عمر أفندينا وأدام عليه العافية ، إننى ضعفت عن حمل أثقال الأزهر ، فأسأله أن يعفيني منه . ولم يكن الخديو يتوقع منه هذا الكلام ، بل كان يظنه يجيب بجواب يصرف المسألة بسلام ، فغضب وقال مستفهماً : ومن الافتاء أيضاً ؟ فقال له نعم يا أفندينا ومن الافتاء أيضاً ، ثم انصرف .

ولم يكن المترجم ممن يعزب عنهم أن مثل هذا السبب لا يدعو الى الاستقالة ، وخصوصاً أن الخديو صرفه بالحسنى مع من اتهم معه ، ولكن كان هناك سبب أقوى أغضب رئيس النظار نوبار باشا الأرمنى ، وذلك لحادثة رفعت عنها دعوى أمام المحاكم الأهلية ، واستدعى الأمر طلب كشف وجه إحدى المخدرات للتحقق منها فامتنعت عن الاسفار محتجة بعدم جوازه فى الشريعة ، واستفتى المترجم فى النازلة ، فأفتى بعدم الجواز وشدد فى المسألة ؛ فشكا رئيس النظار للخديو وأوضح له أن الشيخ أصبح عقبة أمام القضاة معارضاً لأحكام القضاء ؛ ويقال إنه طلب منه إما أن يقيله من الوزارة ، أو يعزل المترجم . فلما قال الخديو للمترجم ما قال تيقن أن المراد عزله فاستقال . فأمر الخديو يوم الثلاثاء ٣ ربيع الثانى من السنة المذكورة باعادة الشيخ محمد الانبابى للأزهر ، وإقامة الشيخ محمد البناء للافتاء .

وبقى المترجم بداره التى على الخليج واشتغل باصلاح قسم منها تشعث فأعاده الى رونقه الأول ، وصبغ حيطانه بالأصباغ ، وهو القسم المطل على الخليج ، وصار يمضى وقته بالنظر فى شؤونه الخاصة والاشتغال بالعلم ، الى أن أعيد الى الافتاء فقط فى (١) فبقى به الى وفاته ، وأصيب فى آخر أيامه بفالج وهو يتوضأ لصلاة الجمعة أبطل حركته ، ثم تعافى قليلاً وصار يخرج فى عجلته للتنزه بدون فرجية بل بعباءة بيضاء من الصوف ، وأشير عليه بالاقامة بحلوان لجفافها ، فانتقل اليها وأقام بها برهة لم يستفد فيها شيئاً ، فعاد لداره بالقاهرة ، ووافته منيته فى الساعة الخامسة من ليلة الأربعاء ١٣ رجب سنة ١٣١٥ عن اثنتين وسبعين سنة ، بعد أن لازمه المرض نحو أربع سنوات ، فأذن له على المآذن ، وحزن الناس لموته حزناً شديداً ، وتكاثرت الجموع على داره لتشييع جنازته ، فقيل إن عدد المشيعين بلغ نحو أربعين ألفا ، والمصلين

(١) فات المرحوم أن يثبت التاريخ

عليه نحو خمسة آلاف ، ثم دفن بقرافة المجاورين فى زاوية الأستاذ الحفنى جنب أبيه وجده ، ورثاه كثير من الشعراء جمعت مراثيهم فى رسالة ألفها الشيخ عثمان الموصلى نزيل القاهرة ، وسماها «المراثى الموصلية فى العلماء المصرية» ، لأنه أضاف اليها ما رُثى به الشيخ عبد الرحمن الرافعى مفتى الاسكندرية ، والشيخ سليم القلعاوى شيخ مسجد القلعة ، والشيخ محمد المغربى المتوفون هذه السنة أيضا .

وكان المترجم رحمه الله ربعة الى الطول ، مليح الوجه ، منور الشيبة ، معتدل القامة ، ذا هيبة ووقار ، مات عن ثروة طائلة وولدين هما الشيخ عبد الخالق المهدى والشيخ أمين ، ماتا بعده الواحد تلو الآخر . ولم يؤلف من التآليف سوى مجموع فتاواه الذى سماه (الفتاوى المهدية فى الوقائع المصرية) ، طبع بمصر سنة ١٣٠١ فى ثمانية أجزاء كبار . وعاش فى عز وتبجيل مدة حياته ، وتولى الافتاء مدة ابراهيم باشا وعباس باشا الأول وسعيد باشا واسماعيل باشا وتوفيق باشا ، أى أربعين سنة من سنة ١٢٦٤ الى سنة ١٣٠٤ لم يعزل فيها ، فلم تحفظ عليه بادرة خطأ أو مخالفة للشرع ، وسبب ذلك أنه تولاه وهو صغير والعيون شاخصة اليه ، فكان لا يفتى فتوى إلا بعد المراجعة والتدقيق والتعب الكثير ، فحصلت له بذلك ملكة فيه حتى صار معدوم النظير ، لا يجاريه مجار فى هذا المضمار ، وأضيف الى ذلك ما كان عليه من التقوى والتشدد فى أمر الدين ، حتى كانت مواقفه أمام الولاة لا تزيده إلا رفعة فى عيونهم لعلمهم أنه لا يريد إلا نصرة الحق ، فأحبوه وأغدقوا عليه بالانعام . ومن مواقفه غير ما ذكرناه أن الخديو اسماعيل باشا أراد مرة أن يستولى على الأوقاف الأهلية ويعوض عنها أهلها ما يقوم بمعاشهم ، فاستفتاه فى ذلك فتوقف ، وأفتاه بعضهم بالجواز ، فتكدر منه وجمع بينه وبين مخالفيه ، فناظرهم وفاز عليهم بعد ما ألفوا رسائل فى الحادثة وأكثروا من الجلبة . ولم يقتصر الولاة على مشاورته فى الأمور الدينية المختصة بمنصبه ، بل كانوا يستشيرونه فى غيرها من معضلات الأمور لما عرفوه فيه من سعة المدارك وجودة الرأى ، حتى أن اسماعيل باشا لما عزل عن مصر قال لولده توفيق باشا فيما أوصاه به : احتفظ يابنى بالشيخ المهدى فانه رجل لا نظير له . وبالجملة فمحاسن المترجم كثيرة ، ولم يكن فيه مايشينه سوى ما كان يرميه به بعض شانئيه من الامساك والتقتير ، ويضعون عليه النوادر الخارجة عن حد المعقول ، والمعروف عنه المشاهد للقاصى والدانى أن داره كانت مفتوحة للصادر والوارد ، لا تخلو مائدته يوماً عنهم ، وحسبنا أنه كان يخرج زكاة أمواله كل سنة ويفرقها على المستحقين رحمه الله رحمة واسعة وأكثر فى الأمة من أمثاله .

وكان حائزاً لكسوة التشريف من الدرجة الأولى ، ومنحه الخديو عباس باشا الثانى الوسام العثمانى الأول فى ٢١ صفر سنة ١٣١٠ هو وشيخ الأزهر الشيخ محمد الانبابى ، وقاضى القضاة جمال الدين افندى ، وسبب ذلك أن السيد توفيقاً البكرى نقيب الأشراف سافر فى هذه السنة الى دار السلطنة ، وتوصل بمساعدة الشيخ أبى الهدى الصيادى الى مقابلة السلطان عبد الحميد ، فأنعم عليه بهذا الوسام وبرتبة قضاء عسكر الأناضول ، فلما بلغ مسامع الخديو أحب أن لا يكون ممتازاً عن كبار الشيوخ وهم القاضى والمفتى وشيخ الأزهر ، فأنعم عليهم بهذا الوسام ، وأرسل الى السلطان ملتمساً الانعام على المفتى وشيخ الأزهر برتبة قضاء عسكر الأناضول ، وعلى القاضى برتبة قضاء عسكر الرومللى ، لأنه كان حائزاً لرتبة الأناضول ، لكن طلبه لم يصادف قبولاً .

وأحيل على المترجم قديماً أمر انتقاء القضاة الشرعيين والمفتين الذين يقامون فى ولايات القطر ومراكزه ، فكان يختار ذوى الكفايات ويتحرى فيهم النجابة والذكاء والديانة ، ويحامى عنهم لدى الحكام ، ويشد أزرهم ، فحصل له بذلك مقام لدى أهل العلم المرشحين لهذه المناصب ، وقصدوه ووجهوا وجوههم شطر داره ، وهو مع ذلك لا يميل مع الهوى فى تنصيبهم ، ولو كان ممن يمد اليد لجمع من هذا الوجه شيئاً كثيرا ، ثم رأت الحكومة أن يكون أمر تنصيبهم منوطاً بلجنة تؤلف بنظارة الحقانية برياسة وكيلها إذ ذاك بطرس غالى باشا ، وعرضوا على المترجم أن يكون من أعضاء تلك اللجنة فأبى .

وكان له فى المحاماة عن أهل الأزهر ومساعدتهم القدح المعلى ، وتروى عنه مواقف فى ذلك : منها أن الشيخ مصطفى العروسى مدة توليه على الأزهر استصدر من الخديو اسماعيل باشا أمراً بنفى الشيخ حسن العدوى الى إسنا وكاد ينفذ فيه لولا أنه استغاث بالمترجم فقام بناصره وذهب للخديو مستشفعاً ، ولج وألح حتى عفى عن الشيخ .

# الأديب الحائر

## قصة تمثيلية للأستاذ توفيق الحكيم

للدكتور طه حسين

لم يكتبها بعد ، ولست أدرى أيريد أن يكتبها أم لا ؟ ولكن الشيء الذى لاشك فيه هو أنه قدمثلها ومثلها تمثيلاً رائعا ، أحب أن تشعر بروعته فى هذا الحديث الذى أسوقه اليك ، ولست آسف الا لشيء واحد ، وهو انك ستشعر بهذه الروعة جملة وفى وقت قصير هو وقت نظرك فى هذا الحديث ، على حين شعرت انا بهذه الروعة واستمتعت بلذتها الفنية تفصيلا وفى وقت طويل ، يبلغ العام أو يكاد يبلغه .

ولم يمثل الاستاذ توفيق الحكيم قصته هذه التى لم تكتب بعد ، فى ملعب من ملاعب القاهرة المعروفة ، ولو قدفعل لشهدتها أنت وغيرك من الناس من النظارة . فأى الناس يستطيع أن يتخلف عن شهود قصة للأستاذ توفيق الحكيم يمثلها بنفسه ، ويشترك معه فى هذا التمثيل جماعة من المصريين المعروفين ، أنا أحدهم . لم يمثلها اذن فى ملعب ضيق محدود ، وانما مثلها فى ملعب واسع جداً بعيد الاقطار والآماد هو ملعب الحياة . وما دام لم يمثلها فى ملعب معروف ، وما دام لم يخرجها للناس فى كتاب ، فانا بالطبع عاجز عن أن أحدثك برأى النقاد فيها . لأن النقاد أو لأن كثرة النقاد لم يشهدوها

وأنا أريد أن أحتاط فلا أحدثك برأى فى هذه القصة ، من جميع وجوهها وأنحائها لأن الحر شديد ، ولأن للحر الشديد تأثيراً فى نفس الأستاذ توفيق الحكيم وقلمه . والناس جميعا يعلمون انى محب للأستاذ معجب بقلمه ، وأقل ما يوجبه على الحب والاعجاب أن أكون رفيقا شفيقا ، حين يشتد القيظ ويخشى من شره على الرؤوس والنفوس والأقلام . وهذا العنوان الذى وسمت به هذه القصة لا يعدو أن يكون اقتراحا قد يعدل عنه الأستاذ توفيق الحكيم ان خطر له أن يكتب قصته فما ينبغى لمثلك ولا لمثلى ، بل ما ينبغى لخير منك ولا خير منى ، أن يقترح على الأستاذ أو ينصح له ، فالأستاذ أكبر من أن يقترح عليه مقترح ، وأن ينصح له ناصح ، مهما يكن مخلصا امينا .

وما دامت هذه القصة لم تمثل فى ملعب محدود ، ولم تخرج للناس فى كتاب ، فان نظامها وترتيب فصولها وتنسيق مناظرها وما يكون بين أشخاصها من حركات متكلفة ، وحوار مصطنع ، كل ذلك مشكوك فيه ، قابل للتغيير والتبديل ، ان أراد الأستاذ توفيق الحكيم . وانما الشيء الوحيد الذى لاشك فيه هو هذا الهيكل الذى تقوم عليه القصة ان صح هذا التعبير ، فهذا الهيكل يفرض نفسه على الأستاذ الأديب وعلى أنا الناقد المسكين فرضا، لأنه شيء لا تملك له تغييراً ولا تبديلاً ، شيء قد كان وليس لانسان حيلة فى تغيير ما كان ، حتى ولو كان هذا الانسان استاذنا وكاتبنا الأديب توفيق الحكيم .

أما الفصل الأول من هذه القصة كما كانت لا كما ستكون يوم يكتبها الأستاذ توفيق ان اراد ، فيقع فى العام الماضى فى أوائل الربيع فى حجرة من حجرات البيت الذى كنت اسكنه فى هليو بوليس . اذ يقبل على صديقان يحبان الأدب لانهما أديبان ، ويعجبان بالأستاذ توفيق الحكيم لانه اديب . وهما يتحدثان الى عن هذا الأستاذ الذى لم أكن أعرفه ولا سمعت من حديثه شيئاً . فيثنيان عليه بما هو أهله ، أو بما هو أهل لا كثر منه ، ثم يدفعان الى كتابا وضعه الأستاذ توفيق الحكيم ، وكان يود أن يهديه الى بنفسه لولا أنه لا يعرفني ، ولا يريد أن يلقانى حتى أقرأ كتابه وأكون لنفسى رأياً فيه ، ثم يقصان على الكثير من أطواره الغريبة حتى يثيرا فى نفسى الشوق الى لقائه ، والى النظر فى كتابه ، فاذا انصرفا أقبل صديق ثالث فلا أكاد أحدثه بما كان من أمر الصديقين حتى يثني على الكاتب ويثني على الكتاب ، ويزعم لى أنه قرأ الكتاب مخطوطا قبل أن ينشر ، لأن صاحبه لا ينشر شيئاً حتى يستشير فيه اصدقاءه ، وينبئنى كذلك بأن هذا الكتاب لم ينشر الا نشراً ضيقاً ، لأن صاحبه يريد أن يعرف رأى المثقفين قبل أن يعرض نفسه على كثرة القراء .

فاذا كان الفصل الثانى فقد أخذت أقرأ فى الكتاب فأرضى عنه ، ثم أعجب به ، ثم أكتب عنه فصلا فى (الرسالة) أسجل فيه هذا الاعجاب ، وذلك الرضى ، وملاحظات يسيرة لا بأس منها على الكاتب ولا على الكتاب . وما يكاد يلقى الستار على هذا الفصل ، ويستريح النظارة فى وقت الراحة بين الفصول ، حتى أتلقى رسالة برقية ملؤها الشكر وعرفان الجميل ومصدرها الأستاذ توفيق الحكيم .

ثم يكون فصل ثالث والخير فى ألا نقسم القصة الى فصول ، بل الى مناظر يتبع بعضها بعضاً ، وليعذرنا الأستاذ توفيق الحكيم فنحن لا نحسن الكتابة فى التمثيل . يكون منظر ثالث أو رابع لا أدرى ، واذا الاستاذ توفيق الحكيم قد سعى الى من اقليمه الذى كان يعمل فيه ، وهو يشكر لى تشجيعى له ، ويغلو فى هذا الشكر ثم يلقى أموره الأدبية كلها الى ، ويطلب منى أن أكون له مرشداً وحامياً ، فأقبل منه هذا كله سعيداً به ، مبتهجاً له ، وأتحدث الى الأستاذ حديث الصديق المحب المعجب ، ويتكرر هذا المنظر مرات كلما أقبل الأستاذ من اقليمه الذى كان يعمل فيه الى القاهرة ليقضى فيها بين أصدقائه يوماً أو يومين ، والحديث والود يتصلان ويشتد اتصالها بيننا ، وتظهر آثار هذا الاتصال فيما يكون من كتب تنشرها لنا (الرسالة)، ومن لقاء يشهده الأصدقاء . ثم يكون منظر آخر من هذه المناظر الكثيرة التى سيؤلف الأستاذ منها قصته إن أراد . نجتمع فيه مع أصدقاء لنا يعرفهم الأستاذ ، ونتشاور فى أمره هو لا فى أمرنا نحن ، فهو يريد أن ينتقل من الأقاليم الى القاهرة ، لأنه ضيق بحياة الريف التى لا يجد فيها مايلائمه من البيئة المثقفة المتحضرة وما يحتاج اليه من الكتب ، ولأنه يلقى فيها بعض العناء ، فحياة وكلاء النيابة فى الاقاليم مضنية شاقة ، وفى وزارة المعارف عمل قد يلائمه وهو يميل الى هذا العمل ، ولكنى أنا لا أميل اليه ، وأنا أوافق على أن بيئة القاهرة وحياتها خير للأستاذ من بيئة الأقاليم وحياتها ، ولكنى أشفق عليه من وزارة المعارف لأنى أعلم الناس بوزارة المعارف ، ولانى واثق بأن الهواء الذى يملأ غرفاتها وحجراتها لا يلائم حياة الأديب المنتج ، وانما هو هواء خانق لكل أدب ولكل انتاج . والأستاذ وأصدقاؤه يلحون فى العرض وأنا ألح فى الرفض ، ثم اقترح مكاناً آخر يستطيع الأستاذ أن يعيش فيه عيشة تلائم الانتاج الأدبى ، فيظهر أن تحقيق هذا الاقتراح غير ميسور ، ثم يلقى الستار ويتم انتقال الأستاذ من الريف الى القاهرة فى هذه الراحة التى تكون بين الفصول، ثم يكون منظر آخر أو مناظر أخرى نجتمع فيها لنقرأ بعض الكتب التى يريد الأستاذ اخراجها للناس ، ومنها شهرزاد .

فالأستاذ شديد الشك فى نفسه ، ضئيل الثقة بفنه ، لا يظهر آثاره الا اذا أقرها أصدقاؤه الأقربون . وهو لا ينشر فصلاً فى (الرسالة) الا اذا قرأته وأذنت بنشره . وهو لا يرى أنه قادر على أن يحتمل وحده تبعة الاذاعة والنشر . ثم نقر من هذه الكتب ما نقر ، ونرجئ منها ما نرجئ ، ونتحدث عن أهل الكهف وعن طبعة ثانية تذاع بين الناس . فأقترح أنا أن أقدمها الى الجمهور، ويظهر الأستاذ وأصدقاؤنا الرضى بذلك والابتهاج له ، ثم يلقى الستار ويرفع وقد تمت الطبعة الثانية من أهل الكهف ، وأبطأت أنا بالمقدمة أسبوعين أو نحو أسبوعين . فينشر الكتاب بغير مقدمة ، وبغير أن يتحدث الى أحد فى ذلك، فيسوءنى ذلك بعض الشئ ، فيسعى الى الأستاذ فى منظر جديد ، ويعتذر الى بمحضر من بعض الأصدقاء ، فأسمع منه وأبسم له وأتجاوز عن استعجاله ، وينصرف راضياً . فاذا أصبحت تلقيت منه هذا الكتاب باللغة الفرنسية وأنا أترجمه فيما يأتى :

أنا محزون حقاً . فقد فكرت ، فاذا خطيئتى بديهية : فقد كان يجب على الأقل أن أستشيرك قبل أن أخرج كتبى .

فماذا ترى فى موقفى منك ؟ ويزيدنى حزنا لطفك حين تجاوزت فى سهولة وكرم عن كل هذا .

انما أنت فى حقيقة الأمر فنان كبير ، فنان حقا . وانى لأعترف بأنى لم أمنح هذه النفس، ولست أنا خليقاً بالفن ولا بك .

واليك الآن ماتمت عزيمتى عليه اذا احتفظت بغضبك على فسأعرض عن كل حياة أدبية .

وتقبل ت . الحكيم

وأخشى أن أكون قد أسأت الترجمة فأنشر معها النص الفرنسى لهذا الكتاب الكريم :

Je suis vraiment peiné. Réflexion faite, ma faute est évidente. Je devais au moins vous consulter avant de faire-paraître mes livres.

Que pensez-vous de mon attitude? Ce qui m'accable encore, c'est votre gentillesse d'avoir si vite passé l'èponge sur tout cela avec tant de générosité.

Vous étes au fond un grand artiste, un vrai. J'avoue que je n'ai pas cet âme là. Je ne suis pas digne de l'art. ni de vous. Voici maintenant ma décision: si vous restiez fâché de moi, je renoncerais à toute carriére littéraire.

Avous
T. El Hakim

ثم يكون منظر آخر يرانى الله فيه حزيناً أسفا ومشفقاً جزعا لأنى صدقت هذا الكلام ، وخفت أن يكون صاحبه جاداً فيه ، فأنكرت من نفسى ما أظهرت من غضب ، وهأنذا أسرع الى التليفون فالتمس صاحبى فى مظانه كلها ، حتى يصلني به التليفون ، فأداعبه وألاعبه ، وأترضاه ، وأتلطف له ، وأقبل منه ، وأهدى اليه حتى يرضى . وتطمئن نفسه الثائرة أو التى كنت أحسبها

ثائرة ، ويهدأ قلبــــه المضطرب أو الذى كنت أظنه مضطربا ، ويستريح ضميره المتعب أو الذى كنت أراه متعبا .

ثم تـكون مناظر أخرى تجرى الحياة فيها بيننا كما تجرى بين الأصـــدقاء الذين تؤلف بين قلوبهم المودة والحب والاعجاب ، الا منظراً واحداً أنـكرته ، ولـكنى لم أظهر انكارى له ، كان فى مجلس لنا بغرفة من غرفات لجنة التأليف وكنا كثيرين ، وكنا نتحدث عن الـكتاب والشعراء المحدثين ، وعن أصحاب القصص خاصة ، وكنت أريد أن أعنى بآثار هؤلاء الـكتاب والشعراء وأن أتبين وأبين للناس ما لهم من المحاسن والعيوب ، أو ما أرى لهم من المحاسن والعيوب . وهنا يثور ثائر الصديق الأديب ويأبى لى العناية بهـذا الأدب الحديث لأنه لا يصلح أن يكون أدباً حديثاً أو قديماً ، ولأن الطابع الفني الصحيح ينقصه ، فنختلف فى ذلك ونفترق على غير اتفاق ؟

ثم يكون منظر آخر وما أكثر هذه المناظر التى ستتألف منها هذه القصة ، والتى ستقيم لأصدقائى ولخصومى أدلة قاطعة على أنى من المـكر والدهاء والحذر بحيث يظنون . أرانى فى حجرة من حجرات البيت الذى أسكنه الآن فى الزمالك ، وقد أقبل الصديق الأديب ومعه اثنان من أصدقائنا ، وكنا على موعد لنقرأ فصلا كان الصديق الأديب يريد أن ينشره فى الرسالة . ولـكن أصدقاء آخرين قد أقبلوا ، وليس يعنيهم أن يقرأو آثارنا الأدبية أو يسمعوها قبل أن تذاع . فنتحـدث اليهم ، ونسمع منهم ، ويطول الحديث حتى اذا تمت الساعة التاسعة انصرف الأصدقاء ، وبقينا نحن فنقرأ الفصل على طوله ، ونحاور فيـه ، ثم لا نفترق حتى تنتصف الساعة الحادية عشرة ، وشهد الله لقد كان فى بيتى تلك الليلة مريض هو آثر عندى من ألف أدب وأدب ومن ألف أديب وأديب ، ومن الحياة والاحياء جميعا ، فما ترددت مع ذلك فى أن أسمع ، وأحاور ، وأقترح التغيير والتبديل ، كما لو كنت مستريحاً فارغ البال :

ثم تـكون مناظر أخرى أسمع فى بعضها اللوم لأنى أحب توفيق الحكيم ، وأقرأ فى بعضها الشتم لأنى أكبر توفيق الحـكيم ، وأنا أبسم للوم اللائمين ، وأضحك لشتم الشاتمين ، لأنى لم أحب هذا الـكاتب الا لأنه ألهمنى الحب ، ولم اعجب بهذا الـكاتب الا لأنه ألهمنى الأعجاب :

ثم أكتب الى المصور فصلاً عن الأدب التمثيلى فى مصر فلا يكاد ينشر حتى يتحدث الى من يتحدث بأن الـكاتب الأديب مغضب من هذا الفصل لأنى لم أنصفه فيه ، ولأنى زعمت أن قصصه التمثيلية على جمالها وروعتها قد لا تلائم الملعب المصرى . فلا احفل بحديث المتحدثين ، ولا بنقل الناقلين ، وأقرأ فى المصور بعد ذلك ردا من توفيق فيه عوج كثير فاقوم هذا العوج مداعبا لصاحبه ، ملاطفا له ، ثم يبلغنى أنه قد سعى إلى فى بيتى مساء الأثنين الماضي فلما لم يجدنى فيه ترك لى تحيته ومودته وانصرف . ثم اكتب عن شهر زاد ، فلا يكاد يظهر حديثى عن شهر زاد حتى أتلقى من صديق توفيق هذا الـكتاب صباح الخميس . لا يحمله الى البريد ، وانما يحمله ساع خاص ، ولا يكتبه توفيق بخطه وانما يضرب به على الآلة الكاتبة ضرباً ، ويتفضل الصديق فيمضيه بخطه . ولست أعرف آية فى الأدب والمودة و الوفاء وصدق الرأى فى الأدب والنقد ، والصلة بين الـكتاب والناقدين تشبه هذا الـكتاب . ولا غرابة فى هذا ، فتوفيق قد عاهدنا على الا يكتب الا كان مبدعاً مبتكراً . وأنا أنشر نص هذا الـكتاب لأنه سيكون باقياً على الدهر ، ولأنه سيقع من الـكتاب والناقدين فى هذا العصر موقع تلك الوصية التى زعموا ان عبد الحميد قد اذاعها فى الـكتاب القدماء آخر أيام بنى أمية .

قال الصديق توفيق الحـكيم :

عزيزى الدكتور طه حسين

يظهر انى سىء الحظ معـك أو انك سىء الحظ معى هذا الأسبوع ، فاقد قرأت مقالك عن شهر زاد وما أحسبنا تلاقينا فيه عند رأى ، فأما قولك انى ادخلت فى الأدب العربى فنا جديداً واتيت بحدث لم يسبقنى اليه احد ، فهذا إسراف سبق لى أن اشرت اليه فى خطاب منى اليك عن أدب الجاحظ ذكرت فيه يومئذ أن للجاحظ ملكة فى إنشاء الحوار تذكرنا ببعض كتاب المسرح من الغربيين . فما انا إذن بمبتدع وانما أنا أحد السائرين فى طريق شقه الشرق من قبل . واما نصيب قصصى من البقاء فلست اعتقد أن لنا قد معاصر حق الجزم به ، وما بلغت من البساطة حد تصديق ناقد يتكلم فى هذا . فان الزمن وحده هو الـكفيل بالحكم للأعمال بالبقاء . فانا كما ترى لا أسمح لنفسى بقبول مثل هذا الثناء ، كذلك لست اسمح لأحد أن يخاطبنى بلسان التشجيع ، فما انا فى حاجة إلى ذلك ، فانى منذ أمد بعيد أعرف ما أصنع . ولقد أنفقت الأعوام أراجع ما أكتب قبل أن أنشر واذيع . كما انى لست فى حاجة الى أن يملى على ناقد قراءة بعينها ، فانى منذ زمن طويل أعرف ماذا اقرأ . وما إخالك تجهل أنى قرأت فى الفلسفة القديمة والحديثة وحدها مالا يقل عما قرأت أنت : وما احسبك كذلك تجهل أنى اعرف الناس بما عندى من نقص ، واعلم الناس بما احتاج اليه من

أدوات ، فأرجو منك أن تصحح موقفي امام الناس وألا تضطرني إلى أن أتولى ذلك بنفسي . توفيق الحكيم

***

وانا أسرع قبل كل شيء الى تصحيح موقف توفيق لا أمام الناس ، بل امام نفسه وأمام رؤسائه في وزارة المعارف . فقد كنت أشفق عليه من هؤلاء الرؤساء كما كنت اشفق عليه من نفسه إذا اتصل بهؤلاء الرؤساء . فالذين يعملون في وزارة المعارف لا ينبغي ان تظهر الصلة بينهم وبيني ، لأن هذه الصلة خطرة حقاً . وما رأيك في قوم يعملون في هذه الوزارة ثم يتصلون برجل لا يزال من يوم الى يوم ينال هذه الوزارة ورؤساءها بالنقد الشديد . وأؤكد لصديق توفيق اني لم انشر كتابه هذا الا تصحيحاً لموقفه أمام رؤسائه وامام نفسه ، فسيعلم رؤساؤه منذ اليوم انه قد اساء الى عمداً وفي غير ما يبيح الاساءة ، وانه قد قطع ما بينه وبيني من صلة ، وانه قد سجل هذه القطيعة في كتاب ، وأني قد سجلت هذه القطيعة في صحيفة سيارة . ليشيع امرها بين الناس . وأظن ان رؤساءه منذ اليوم سيرفقون به ، ويعطفون عليه ، ويحسنون الرأى فيه . واظن انه سيحس منهم ذلك فيطمئن على منصبه ويستريح الى رضي رؤسائه عنه ، ويبتسم له الأمل في المستقبل القريب والبعيد .

والآن وقد صححت موقف توفيق امام نفسه وامام رؤسائه اريد ان اصحح موقفه أمام الناس وأمام الأخلاق وامام الادب ايضا . فموقفه امام هؤلاء جميعا في حاجة الى تصحيح لم يخطر لصديقنا ببال فيما يظهر لأنه كان مشغولاً بنفسه ورؤسائه ، ولعله كان مشغولاً بذلك القيظ الشديد ، الذي أخرج كثيرا من الناس عن أطوارهم منذ أيام

فأما قول توفيق اني قد أسرفت حين زعمت أنه أحدث في الأدب العربي حدثاً لم يسبقه اليه احد ، فاني أحمده له وان كنت أعرف أن هذا الكلام كان يرضيه ، وأنه كان يحب أن يسمعه وأن يقرأه قبل هذا الأسبوع الذي هاجمت فيه وزارة المعارف مهاجمة عنيفة ، ومن الحق أنه تحدث إلى بأن للجاحظ ملكة حوار ولكن من الحق أيضاً أني نبهته إلى أن الحوار شيء والتمثيل شيء آخر ، وإلى أن الكاتب يستطيع أن يكون محاوراً مجيداً دون أن يبلغ من التمثيل شيئاً . فاذا كان الجاحظ قد أتقن الحوار وبرع فيه فلا ينبغي أن يفهم من هذا بحال ان الجاحظ قد عرف التمثيل أو ألم به أو كان يمكن أن يخطر له التمثيل على بال . وانه لمن المؤلم حقاً أن أحتاج الى أن أسوق مثل هذا الكلام الى كاتب أديب كتوفيق قرأ من آثار القدماء والمحدثين مثل ما قرأت على الأقل

وأما أن توفيقا ينكر على أن أحكم لقصصه بالبقاء ، فهذا إسراف منه كثير ، فنحن الناقدين أحرار فيما نعرف من ذلك وما ننكر ، وفيما تثبت من ذلك وما نمحو ، وما دام الزمان هو الحكم الأخير في هذا كله فما يضير صاحبنا ان نحكم له أو أن نحكم عليه . وأغرب من هذا كله أن يرفض توفيق ما أهديت اليه من ثناء ، فليعلم اني لم أهد الثناء إلى شخصه ليرفضه أو يقبله ، وأن شخصه لا يعنيني إلا قليلاً منذ الآن ، وانما أهديت الثناء إلى فنه ومازلت أهديه اليه ، ولن يستطيع هو أن يرده . وكنت أحب له أن يفرق بين شخصه الفاني وفنه الباقي .

وأما أنه لا يسمح لأحد أن يحدثه بلغة التشجيع فقد كنت أحب أن يكون أذكى في حياته العملية من أن يشارك رئيس الوزارة في لغته ، «فلا أسمح» هذه كلمة يملكها رئيس الوزراء القائم وحده ؛ ولكن الذي يجعل نفسه دولة لا يتردد في أن يستعير لغة الوزراء . وهو بعد حر في أن يسمح أو لا يسمح فسنشجعه على رغم منه ، لأن فنه يستحق التشجيع ، ولأن واجبنا الأدبي يفرض علينا تشجيع المجيدين فرضا . وأما أنه لا يسمح لأحد بأن يدله على ما يقرأ ، وأنه قرأ في الفلسفة القديمة والحديثة مثل ماقرأت على الأقل ، فانني أحب أن يعلم أن ما قرأته لا يرضيني لنفسي ولا لغيري ، واني أبذل ما أملك من الجهد لأقرأ أكثر مما قرأت ومما قرأ غيري. وأسأل الله أن يقيني وأن يقيه شر الغرور ، فهو مهلك للنفوس حقا . وأما أنه أعرف الناس بما ينقصه ، وأعلم الناس بما يحتاج اليه من الأدوات وأنه لا يحتاج مع ذلك الى نقد ناقد ، فهذا رأيه في نفسه منذ الآن وهو لا يشرفه ولا يرفع منزلته عند أحد . أما أنا فأرى لنفسي الحق في أن أدل كل كاتب يخرج للناس كتاباً على رأى فيما ينقصه وفيما يحتاج اليه ، وهو حر في أن يقبل أو يرفض ، ولكني حر كذلك في أن أقول له ما أريد .

أما بعد ، فهل صححت موقف توفيق أمام الناس ، أم هل لا يزال مضطراً الى أن يصححه بنفسه ؟ أحب أن يعلم توفيق أني لن أرد عليه بعد الآن ، ولن أحفل به الا يوم يخرج لنا كتاباً نقرؤه ، ويومئذ سأعلن رأيي في هذا الكتاب سواء رضي توفيق أم سخط ، وأنا أرجو أن يكون رأيي في كتبه المقبلة حسناً كرأيي في أهل الكهف وشهر زاد . وأرجو بعد هذا كله أن يتدبر الكتاب والشعراء هذه القصة التمثيلية فان فيها عبرا وعظات ، وإن أمثالها مع الأسف في مصر ليس بالقليل .

طه حسين

من طرائف الشعر

# عطيل

للأستاذ فخرى أبو السعود

قليل رقاد الليل نابى المضاجعِ … يبيت على مضٍّ من الشك لاذعِ
على حُرَقٍ : لا الظن قاتلُ حُبِّه … ولا حُبُّه للظن عنه بدافعِ
دَجَا عَيْشُهُ جرَّاء مَنْ كان ذكرُها … ضياءٌ له فى داجيات المعامعِ
أطاع مقالاً للحسود أهاجه … ولم يك لو قال النصيحُ بطائعِ
يقول : إذَنْ قد نازعتْها صبابةٌ … وغَىٌّ فألقتْ قيدَها للنوازعِ
وأصبحَ عِرضى فى بنى الرُّوم مُثلةً … وهُزْأةَ مِهذارٍ ومَلْهاةَ صافعِ
جَزَائِىَ هذا : إننى كنت غافلا … فأقحمتُ نفسى فى وخيم المراتعِ
حسبتُ قلوبَ الغِيد بالبأس تُستَبَى … وتُملك بالبيض الخفاف القواطعِ
جَزَائِىَ عَدْلاً : ما لمِثْلِى وللهوى ؟ … لقد قذفتْ بى فى المرامى مطامعى
ولم يك وجهى للحسان بفاتنٍ … ولا لونُ جلدى فى الغرام بشافعى
ألا ليتنى لم ألْقَ أشْرَاكَ حُسْنِها … فقد كنتُ فى أشراكها شَرَّ واقعِ
ألا ليتنى لم أدْرِ أنباءَ بغيها … وكُفَّتْ جفونى دونه ومسامعى
لقد أنكرتْ خَلْقِى وضاقت بِكَبْرَتى … ومنظرِ شَيْبَاتٍ برأسى طوالعِ
وما سَرَّها أنى بلوْنِىَ مُعْلَمٌ … لَدَى الحرب بطَّاشٌ بكل مُقارعِ
ولا غُدُوَاتى فى البحار زواخراً … ولا دَلَجَاتى فى الفلا والبلاقعِ
ولا أوبتى بالغار فى كل موكب … ولا خطرتى بين السيوف السَّواطعِ
فلم يَثْنِها عهدٌ وجُنَّ جنونُها … بغضِّ الصِّبا من قومها الصُّفْرِ يافعِ
سباها بطبع منه هَيْنٍ ومنظرٍ … طَرِيرٍ وخلَّابٍ من القول رائعِ
تهيم به دونى وإن يكُ خادمى … وتمنحه حقِّى وإن يك تابعى
ولم يَبْقَ لى فى قلبها اليومَ موضعٌ … وما كان فيه أمس إلا مَوَاضعى
نعم هى تلقانى بنظرة مُغْرَمٍ … وبسمةِ مفتونٍ وعَطفةِ خاشعِ
نعم وَهْىَ تسقينى خَدُوعَ رُضابها … كما مَجَّت الأفعى الخؤونُ بناقعِ
وتوهمنى الطُّهْرَ الذى يَدَّعِينه … وليس سوى آلٍ بصحراء لامعِ
وتُوشك – لولا الرُّشْدُ – أن تَسْتَخِفَّنى … ويَسْتَلَّ حقدى سِحرُها من أضالعى
ويُوشك ذاك الحُسْنُ أن يستهزنى … فأنسى لديها كيدَها وهو فاجعى
أتَبْسَمُ لى غِشّاً ومحضُ ودادها … لَدَى قاهرى فى حُبِّها ومنازعى ؟
لَعَمْرِىَ ماذا يدعُوَانى إذا خلتْ … اليه بمنأى عن رقيب وسامع ؟
أتَدْعِينَنى فَدْماً ؟ أتُفْضِينَ للفتى … بشجوِى ولأْوائى وجَمِّ مواجعى ؟
أيَضْحك من جهلى ؟ أيزعم أننى … بليدٌ غليظ الحِسِّ غيرُ مُدافعِ ؟
حَنانَيْكُما – قد جُرْتُما وغلوتما – … ورفقاً بهذا المُستغَرِّ المخادَعِ
سيأتيكما أمرى فيَدْرِى كلاكما … بأنَّ حِمَى الوحْشِىِّ ليس بضائعِ
سأنقع ممن خانت العهد غُلَّتى … وهيهات ما غيرُ الحِمام بناقعِ
سأمنحها كأس المنية مُوقناً … بأنى لتلك الكأس أوَّلُ جارعِ
سأُسلِمُها للموتِ أوَّلَ نادمٍ … لتلك الحُلَى تَفْنَى وتلك البدائعِ
سأقتل مَن لو أستطيع فديتُها … بِبَتِّ نِيَاطى أو بِقَطْعِ الأخادعِ

فخرى أبو السعود

---

# الأنسان الآلى

للأستاذ محمود غنيم

ماذا أُشاهد ؟ لا طيناً ولا ماء … وليس هذا الفتى من نسل حواء
لا يشبه الناس إحساساً وعاطفة … ويشبه الناس تركيباً وأعضاء
فتى عريق بحبل العلم متصل … إن عدد الصيد أجداداً وآباء
هى الحضارة أمٌّ أنجبته وما … زالت كمريم ذات الطهر عذراء
خلق جديد إذا شاهدت طلعته … تكاد تومئ بالتسليم إيماء
لا يشتكى مثلما يشكو الورى سقما … ولا يهاب رسول الموت إن جاء
يرى ويسمع لكن لا يحس وإن … هم قطعوه بحد السيف أجزاء
فياله ساعياً يمشى على قدم … لا تشتكى إن شكت أقدام وجناء
وياله خازناً لا تستبيه ولا … تغريه بالمال إن حاولت إغراء
وياله حارساً لم يشك من أرق … ليلا ولا حاولت عيناه إغفاء

# فولتير العظيم حتى بموته

١٦٩٤ — ١٧٧٨ م

بقلم مهدى ادهم الطرابلسى

ما أنا أول الذين يتحدثون اليك عن فولتير ولا آخرهم . بل أنا من هؤلاء الذين تلح على عواطفهم اشعاعات من ارواح العظماء فتبعثهم حينا راضين وآخر كارهين لينشروا ماضى هؤلاء العظماء ويتغنون بعبقريتهم ويسجلونهم فى سجل الأفذاذ الخالدين .

أطل فولتير على الحياة سنة اربع وتسعين وستمائة والف فشب ورأى من حوله فساد الحكومة والبيئة فعظم عند نفسه ان يرى أفراد الشعب يتضورون جوعاً والملك والحكام ينزلون بهم أنواع العذاب عاتين جائرين . وكان كاتباً رائع الكتابة رائق الاسلوب قوى العارضة سيال القريحة سياسى المبدأ لاذع النقد . وكانت الصحف التى تنشر رسائله رائجة نافقة أكثر من غيرها ، لأن الشعب كان يقبل على كل رسالة له او كتاب فيطالعه ، فتنتشيه نغمة العبارات ولحن الاسلوب فيعيد مطالعته ، فيؤثر فى نفسه ، فيهيج هياجاً شديداً ، لأنه ضد الحكومة . وقد كان الشعب الباريسى يضمر لفولتير حباً شديداً حتى أضحت كلمته فوق كل كلمة ، واسمه فوق كل اسم ، وحتى أضحى رسمه زينة تحلى بها الأكاليل والمتاحف ، وحتى اضحى الشعب يمحص كل كلمة من كلماته تمحيصاً ويعربها ويردها الى أصلها مستمتعاً مغتبطاً بذلك .

وهكذا استأثر فولتير بقلوب ابناء وطنه وجعل من نفسه قائداً محبوباً يشير فيطاع . والشعب لم يقبل على فولتير ومؤلفات فولتير ولم يهتف له الا لنقده الملك والملكة والبلاط وما فيه ، النقد اللاذع الذى دعا الملك ان ينفيه من اجله .

كان الكونت لدلنفيليه قد تكهن ان فولتير صديقه سيموت فى الثلاثين من عمره ، لكن فولتير الجبار لم يكن ممن يتأثرون بتنبؤات الكهنة والمنجمين ، فاستمر لا يحيد عن سمته فى النقد والفلسفة ، ولما جاوز الثلاثين كان يداعب صديقه الكونت قائلاً : «لقد خدعتك ايها الصديق بثلاثين عاماً وخدعت نفسى بالباقى»

وأخيراً لم ير الملك بداً من إخراجه عن فرنسا . وهكذا قضى فولتير حياته شريداً طريداً يتنقل من بروسيا الى انكلترا الى غيرها

وقد قضى أكثر أيامه على ضفاف بحيرة جنيف فى (فرنى) وغيرها حيث سالت نفسه حنيناً إلى وطنه ، فرق اسلوبه كثيراً وبرعت ديباجته .

ألف فولتير من الكتب والقصص (محمداً ، زاير ، ميروب ، عصر لويس الرابع عشر ، تاريخ شارلى الثانى عشر ، كانديد ، ميكروموكاس ، زاديك ، القاموس الفلسفى ، ملاحظات على نظريات باسكال) وغير ذلك من المؤلفات التى جعل بعضها قصصاً تخيل وقائعها فى بلدان شرقية وعصور خالية ، فقصته (زاديك) جعل وقائعها فى بلاد فارس فى عصور ماقبل الميلاد ، فقارئها يرى من طرف خفى وظاهر ان فولتير ينتقد الملك والبلاط النقد الجارح الأليم .

لأضرب لك مثلاً فى كتابه زاديك : « زاديك شاب غني فيلسوف هجر المجتمع الخاطىء واعتزل فى قصر له فى البرية ، فانه ليتجول يوماً فى الغابة اذ مر به خصيان البلاط والحرس الملكى يسألونه متلهفين أرأيت كلب الملكة وحصان الملك ؟ فيقول هى كلبة لا كلب ، ولكن لم أرها ، فيكبلونه الى الحاكم فيحكم عليه

---

لن ترهب العقم بعد اليوم والدة ... أو يعدم الشيخ بعد الشيب أبناء

نشيخ مايشتهيه الشيخ من عقب ... وللیتيم من الآباء ما شاء

لينفخوا الروح فيه مثلما خلقوا ... له يدين وشقوا العين حوراء

***

قم سائل العلم إذ سوى جوارحه ... هل رام هدماً به أم رام إنشاء ؟

يشكو البطالة غادينا ورائحنا ... فهل نضيف الى أدوائنا داء ؟

أما ترى الأرض قد ضاقت بمن حملت ... فثارت الحرب حول القوت شعواء ؟

حسب البرية أن الطب يكلؤها ... وأن سهم الردى يخشى الأطباء

***

يا أيها الرجل الآلى هل لك فى ... ود أساقيكه ماء وصهباء

تشابه الناس عندى فى المذاق وإن ... تعدد الناس ألواناً وأسماء

لأنت أسلم يا ابن الصلب عاقبة ... من أنفس ملئت حقداً وبغضاء

أقسمت أنك بين الناس أنزههم ... يداً وأطهرهم قلباً وأحشاء

حييت فيك فتى ماقال فاحشة ... يوماً ولا عاب إنساناً ولا ساء

محمود غنيم

بالجلد والنفي الى سيبيريا فما يكاد يفعل حتى توجد الكلبة والحصان فيعفو عنه، ولكنه يحكم عليه بغرامة قدرها اربعمائة أوقية من الذهب» وهكذا يريد فولتير أن ينقد البلاط وأن يقول إن الداخل فيه خاسر مافي ذلك شك، مدعياً كان او مدعى عليه .

لقد كان منظر فولتير يدل على غير ما يختلج في نفسه، فقد كان الناظر اليه يحسبه سعيداً مغتبطاً، على حين أن فولتير قضى حياته بين عبرة مهراقة، وزفرة مصعدة، بدليل عبارات تقرأ في رسائله. وكان فولتير هزيلاً ناحلاً، وكثيراً ما كان يشكو الماً في جسمه يقول إن الأطباء لم يهتدوا اليه بعد. فكان يئن في نفسه، فتبدو أنته على ثغره ابتسامة عذبة هادئة تجتذب اليه النفوس، وقد نعته فيكتور هوجو بالرجل الكئيب الباكي . وفولتير وإن كان اكثر الشعب مناصراً له فقد كان له أعداء كثيرون يتسخطون عليه ويتبرمون بكتاباته النارية الحماسية التي كانت إحدى الشرارات الرئيسية التي أضرمت نار الثورة الكبرى من بعد. فكان هؤلاء السادة يجادلونه فلا يقف عن مجادلاتهم، ويغالبونه فلا يفتر عن مغالبتهم، وهو مع كل ذلك لم يهن، فهم ما كانوا ليزدادوا الا موجدة عليه، وهو ما كان ليزداد الا استهزاء واستخفافاً بهم .

ولما مات لويس الخامس عشر وتربع على العرش لويس السادس عشر كان فولتير في منفاه، فاستأذن الملك الجديد العودة الى وطنه فاذن له، ولكن بعد ان تهدده الملك وتوعده بالنفي والتشريد إن هو عاد سيرته الأولى. فعاد الى باريس برفقته كاتبه الخاص. وكانت قد سبقته اليها زوجه والمدام دنيس حفيدته التي كان يحبها كثيراً وصديقه المركيز دي فيلت ليعدوا المنزل ويهيئوا المستقر .

وفولتير اذا أتى باريس فقد أشرقت باريس وهب الناس كلهم هبة واحدة مهللين فرحين . فلما أن أقبل كانت المحطة مزدحمة بالناس حتى لامسير . وقد أخذ مخبرو الصحف يكتبون عنه الرسائل المسهبة الطويلة ويصفونه جزءاً جزءاً فقالوا إنه أقبل وكان على رأسه قلنسوة أرجوانية صوفية . وانه كان مرتدياً برداء من الفرو المخطط، وأنه زار صديقه الحميم القديم (دار جنتال) في شارع (اورسه)، وأنه خرج بعد ذلك يقصد منزله، وأن الاولاد الصغار اذ رأوا منظره الغريب أخذوا يهتفون بحياته ويصفقون، وأنه لما انتهى الى منزله اخذ الناس يفدون عليه أفواجاً فيستقبلهم بثياب المنزل معتذراً بمرضه .

وحقاً لقد امتلأ المنزل افناؤه وحجراته وأروقته بالناس من جميع الطبقات . فكان فولتير يبسم لهم ويستقبلهم بأحسن ما يستقبل مزور زائراً، وقد قيل إنه لم يبق احد في باريس الا واقبل يهنئه بالعودة السالمة ويدعو له بطول العمر . وذلك مما دعاه ان يسن دستوراً للزيارة . فأمر حفيدته ان تقيم في القاعة الكبرى ففعلت تستقبل الزائرين عوضاً عنه وتعتذر لهم بمرضه الا العظماء منهم فقد كانت تقدمهم اليه فيجالسهم ساعة ثم يعود الى غرفته يتسلى بالقراءة والكتابة . وممن زاره منهم سفير انكلترا وفرانكلين الشهير وغيرهما، لكن كان يستقبل الكل بثوب المنزل لا يخلعه الا للنساء فقد كان يجلهن . فلما زارته الكونتيس دي باري لم يشأ ان يبدو اليها بهذا الثوب، فلم يقابلها اولاً، فرجت وألحت في الرجاء، ورجاه اصدقاؤه والحوا في ذلك أيضاً ان يفعل، فاقبل كارهاً متعثراً، فقال له من حوله انك تقول إن ثوب العقل خير من ثوب الجسد فماذا دهاك اليوم ؟

ولقد كان الناس يجتمعون حول منزله كل يوم فلا يزالون يهتفون به حتى يخرج الى النزهة فيركب عجلته فيزدحم الناس من حولها ويقبل بعض المتحمسين يدفعون الناس بمناكبهم يريدون ان يحملوا العجلة فلا يمتنعون حتى يرجوهم فولتير الأمتناع شاكراً، لكن واأسفاه ! ان هذه الأستقبالات والمهرجانات أمرضته، ولا سيا حين سمع ان صديقه (لكن) قد قضى . ولقد كان مرضه انحباس البول، وتورم الرجلين، وقد منع طبيبه عنه كل انسان، وحال بينه وبين اصدقائه، فعكف فولتير في سريره يؤلف القصص ويكتب الرسائل، ويئن بين الحين والحين أنة لايشك سامعها في أنها أنة عظيم .

عناية طبيب فولتير بفولتير وعنايته بنفسه بدت نتيجتها، فأبل ونقه، وشرع يطبع روايته التي وضعها اثناء المرض، وسماها ـ أرين ـ وقبل أن تعرض للتمثيل جهد فولتير جهداً عظيماً في تدريب الممثلين وتعليمهم اتقان ادوارهم، ولم تكن صحته قد عادت اليه كاملة فرماه الكد والتبذل في سريره، فاذا الحمى تدور في جسمه، وهذا صداع شديد يهز جمجمته، وهذا ورم شديد في قدميه، وانحباس موجع في كليتيه، ثم هذا دم يخرج من رئتيه، ثم هاهو ذا يهذي ويصرخ الصرخات الداوية : وطبيبه لم يدر أصل الداء ومنبت العلة، فلجأ

الى الحكمة والدراية . فاستأجر ممرضة صبية جميلة اعجبت فولتير وُسر بها كثيراً . أما الصحف فكانت تملأ أعمدتها فى التحدث عنه ، فاذا أكل فولتير دوى فى أفق باريس ان فولتير قد أكل ، واذا شرب فولتير دوى فى أفق باريس أن فولتير قد شرب . ولم يزل الداء يلح به ويضعف من جسمه ومن حواسه حتى كاد لا يقدر ان يقرأ كتاباً أو صحيفة ولا أن يستوى جالساً فى سريره . لكن ماذا ؟ ها هو ذا فولتير يصح وينشط فلا دم يبصق ولا قدم تتورم ، وها هوذا الطبيب قد أذن له بأكل بيضة وقطعة من الخبز ، وحسو كأس من الماء ومثلها من الخمر كل يوم . وإذا عادت الى فولتير صحته فقد عادت الى الناس المسرات والأفراح . وأما الأطباء فوقفوا وقفة الحائر أمام هذا المرض العجيب وسرعة شفائه . وكان تمثيل الرواية قد تأجل ليشهده فولتير بنفسه ، فلما أن شفى حكم الأدباء والفلاسفة فيها فاعجبوا بها اعجاباً شديداً فمثلت ، ولكن فولتير لم يشهد التمثيل فقد سقط مرة أخرى وخيف أن تكون السقطة الأخيرة الهائلة . فعاده الأطباء ووصفوا له لبن أتان يتناوله فشفى بعض الشيء ، وخرج الى متنزه الشانزليزيه بعربته ، فالتف الناس من حولها هاتفين : ليعش فولتير ! ليعش فولتير ! وقد كان السعيد منهم من يحظى بشعرة من ردائه .

لكن مما يؤلم أن فولتير امسى بعد ذلك هائج البال فاسد الرأى فقد سأل أن يبدلوا الممرضة بأخرى غيرها قائلاً : انى استحيى أن اخلع ثيابى أمام تلك الفتانة ، فابدلت بأخرى . ولكن ها هوذا المرض يطل عليه زائراً مرة أخرى ، ولكن ها هوذا الشفاء يأتيه عائداً ثانية .

اما الرواية (ارين) فقد مثلت ست مرات ، وفى الأخيرة تجلت عظمة فولتير وكبر نفسه وانحين ، وقد شهدها فولتير ، فلما انتهى التمثيل قام الشباب وجعلوا يتمسحون به ويلثمون يديه ويهتفون باسمه ، ووصل الى منزله تلك الليلة وما أحسب أن أحداً وصل فى الدنيا ليلاً الى منزله وصوله .

***

أفاق الناس صباح ٢٣ أيار من سنة ثمانى وسبعين وسبعمائة وألف ، فاذا هم يتحدثون ان فولتير قد تورمت قدماه وانحبس بوله واصبح يبصق أفلاذ كبده وانه لا يرجى له شفاء .

وحقا لقد وقع فولتير هذه المرة ويئس طبيبه من نجاته ، وعاده الماريشال ريشيليو ، وصف له دواء يدفع عنه الأرق فتناوله فولتير دفعة واحدة فتعقد داؤه وعز دواؤه .

أضحى فولتير بعد هذه السقطة فارغ الصبر ضيق الصدر ، هلوع النفس متلكئ الجسم ، يسب من حوله ، ويضرب ممرضته ، ويجافى حفيدته ، وينظر إلى الناس بغير العين التى كان ينظر بها اليهم . وكان يصرخ بين الحين والحين صراخاً عظيماً احتار فى تعليله الأطباء ، ولم يعرفوا الى شفائه من سبيل . وممرضته كلت وملت وأسلمته الى يد القدر إلا قليلاً . واشار عليه صيدلى ان ينشق الأفيون ، ففعل دون أن يدرى طبيبه . والافيون أنامه إنامة طويلة استفاق بعدها فاذا معدته لا تهضم اللبن الرائب . ومر به جراح شهير يدعى (ترى) وفحص مثانته وكليتيه وتوصل بحيلته وحدة ذكائه ان يفتح للبول طريقاً بواسطة أنبوب طبى . وارتفعت درجة حرارته بعد ذلك كثيراً فارقدوه فى الجليد فما افادوا شيئاً !!

واحسرتاه ! لقد فقد فولتير عقله أو كاد ! لقد اضحى يرجع الى احشائه من فيه ما يخرج من أحشائه ، فكانت حفيدته تبكى كثيراً وتقبل عليه تقول : مسيو فولتير ! مسيو فولتير ! لقد كنت مثال النظافة فانظر الى اية حال مؤلمة قد صرت .

ومن الأطباء الذين اعتنوا بفولتير كثيراً ترونشين طبيبه الخاص وبلورى وتيارى . وقد بذل هؤلاء الأطباء الحكماء اقصى ماوهبوا من حيلة وذكاء لشفائه ، فخاب سعيهم وما ازدادوا الا جهلاً بالداء . ودخلوا عليه ذات ليلة فاذا هو حائل اللون ، أزرق الشفتين متصلب اليدين والقدمين ، فأخذوا يعالجونه ساعة حتى أفاق وقال : آه ! دعونى أسير الى ربى . ثم أخذ يصيح صياحاً شديداً تهتز له النفس ، وتسيل له الافئدة هولاً وجزعاً . فعلل أطباؤه صراخه بوجع شديد لا يعرفون مصدره ، وخافت الممرضة إذ رأته على هذه الحال ، وخاف الأطباء ايضاً ، ولبثوا حتى منتصف الليل يعالجونه وينضحون جسمه بالماء فما افادوه . وفى تلك الساعة المظلمة فاضت نفس عظيمة بعد أن سجلت آثارها فى سجل الخلود

قيل إن فولتير مات مسموماً وأن يداً لم تعرف بعد قد دست له السم ، وقال الاطباء نعم لقد مات مسموماً ، ولكن اليد التى دست له السم هى يد دائه .

حماه	مهدى النجم الطرابلسى

في الأدب الفرنسي

# ٨ - الدوق دى لاروشفوكو

للدكتور حسن صادق

ولكى يخفف من حدة الانكار قال فى مكان آخر من كتابه « الحسد تقضى عليه الصداقة الحقة » (موعظة رقم ٣٧٦) . « مهما يكن الحب الصحيح نادراً ، فانه أقل ندرة من الصداقة الخالصة » (موعظة رقم ٤٧٣) . أى أنه يؤمن بندرة الصداقة النقية ولا ينكرها إنكاراً تاماً

وحكمه على الصدق والوفاء ليس بأقل غرابة من حكمه على الفضائل السابقة : « الصدق هو إخلاص القلب ولا يتصف به إلا عدد قليل من الناس . أما الصدق الذى يرى عادة فهو مداهنة بارعة ترمى الى اكتساب ثقة الغير » (موعظة رقم ٦٢) « بغض الكذب هو فى الأغلب طموح دقيق غير محسوس الى جعل أقوالنا تكتسب منزلة رفيعة واحتراماً كالذى يلهمه الدين » (موعظة رقم ٦٣) « الوفاء الذى يبدو من كثرة الناس هو حيلة ابتكرها حب الذات لاجتذاب الثقة » (موعظة رقم ٢٤٧)

ولنذكر الآن ما قاله عن الحب : « لا يوجد إلا نوع واحد من الحب ، ولكن يوجد منه صور زائفة لا حصر لها » (موعظة رقم ٧٤) « الحب كالنار لا يستطيع أن يحتفظ بوجوده إلا بالحركة المستمرة . ويصيبه العفاء فى اللحظة التى يكف فيها عن أن يأمل أو يخشى » (موعظة رقم ٧٥) « مثل الحب الصحيح كمثل ظهور الأشباح ، جميع الناس يتكلمون عنها ، ولكن قليلاً منهم من رآها » (موعظة رقم ٧٦) « كثير من الناس لو لم يسمعوا أحاديث الحب ، لما أحبوا » (موعظة رقم ١٣٦) « الغياب يخفف من وطأة الأهواء الضعيفة ويورث نار الأهواء القوية ، كالريح تطفئ الشمعة وتوقد النار » (موعظة رقم ٢٧٦) « إذا اعتقد الانسان أنه يحب صاحبته فهو مخطئ » (موعظة رقم ٣٧٤)

ثم قال عن الغيرة : « الغيرة تستمد غذاءها من الشك ، ويمحوها اليقين » (موعظة رقم ٣٢) « مبلغ ما فى الغيرة من حب الذات . أكثر مما فيها من الحب » (موعظة رقم ٣٢٤) « الغيرة أكبر الشرور ، وأقلها استدراراً لشفقة الذين ينسجون أسبابها » (موعظة رقم ٥٠٣)

وهذا الرجل الذى كان يبجل النساء فى حضرتهن ، ولا يقول كلمة تؤذى شعورهن ، قسا عليهن فى مواعظه : « تمنع النساء نوع من الزينة يضفنه الى جمالهن » (موعظة رقم ٢٠٤) « عفة النساء هى فى الأغلب الحرص على سيرتهن وراحتهن » (موعظة رقم ٢٠٥) « الغرور وخشية العار وعلى الأخص المزاج ، تعمل فى الأغلب قيمة الرجال وعفة النساء » (موعظة رقم ٢٢٠) « الكثرة من النساء يبكين عشاقهن الذين يقضون نحبهم ، لا لأنهن أحببن هؤلاء العشاق ، ولكن ليظهرن أنهن جديرات بالحب » (موعظة رقم ٣٦٢) « قليل من النساء الشريفات من لم يسأمن عفتهن » (موعظة رقم ٣٦٧) « كثرة النساء الشريفات كنوز مخبأة ، ليست فى مأمن من العبث إلا لأن الرجال لا تبحث عنها » (موعظة رقم ٣٦٨) « الخليعات يفخرن بغيرة عشاقهن ليخفين الحسد الذى يضمرنه لغيرهن من النساء » (موعظة رقم ٤٠٦)

وحكمه على التواضع ليس بأقل قسوة من حكمه على العواطف والفضائل السابقة « لا يمدح الانسان غيره عادة إلا ليمدح » (موعظة رقم ١٩٦) « قليل من الناس من يملك الحكمة التى تجعلهم يفضلون النقد الذى ينفعهم على الثناء الذى يخدعهم » (موعظة رقم ١٩٧) « رفض الانسان المديح معناه الرغبة فى أن يمدح مرتين » (موعظة رقم ١٩٩)

ويستمر لاروشفوكو فى أحكامه على الأعمال والفضائل الانسانية حتى يصل الى هذا الحكم العام « تدخل الرذائل فى تركيب الفضائل ، كما تدخل السموم فى تركيب الدواء ، التبصر يجمعها ويخفف من وطأتها ويستخدمها بنفع فى مغالبة شرور الحياة وآلامها » (موعظة رقم ١٨٢)

وهو يعتقد أن الانسان فى حياته عبد لأهوائه وليست الارادة

شيئاً مذكوراً « فى القلب جيل من الأهواء لا يفنى ، حتى أن زوال أحدها هو فى الواقع طغيان هوى آخر عليه » (موعظة رقم ١٠) . فالنضال الذى نعتقد أنه قائم فى دخيلتنا بين الهوى والعقل ، بين الرغبة والواجب ، هو سراب محض . « الحظ والشرف يحكمان العالم » (موعظة رقم ٤٣٥) « مهما يفخر الناس بأعمالهم العظيمة ، فانها فى كثير من الأحيان ليست نتيجة تدبير عظيم ، ولكنها نتيجة المصادفة » (موعظة رقم ٥٧) « جميع صفاتنا تقريباً تحت رحمة الظروف » (موعظة رقم ١٧٠) « يخيل إلىّ أن لأعمالنا نجوما سعيدة وأخرى شقية ندين اليها بكثير من الثناء أو اللوم الذى يوجه الينا » (موعظة رقم ٥٨)

واذا كانت المصلحة الذاتية تقود الفرد والجماعة ، فكيف نفسر هذا الشعور المعقد الذى يتبع ارتكاب أعمال مضادة للفضيلة ، وهو الندم ؟ يفسر لاروشفوكو الندم الخارجى ، أى الاعتراف بالزلل بقوله : « إننا نعترف بخطايانا لنصلح الفكرة السيئة التى علقت بأذهان الغير عنا » (موعظة رقم ١٨٤) . ويفسر الندم الباطنى بقوله : « ندمنا ليس أسفاً للشر الذى فعلنا بقدر ما هو خوف شر يصيبنا من جراء ما فعلنا » (موعظة رقم ١٨٠)

وبما أن المنفعة هى غرض الانسان الوحيد ، إذن يكون الخير الوحيد هو الخير المحسوس فى اغفاله . وبما أن الموت هو نهاية كل شر ، إذن الموت أكبر شر : « الشمس والموت لا يستطيع الانسان أن يحدق فيهما » (موعظة رقم ٢٦)

وقد ظن بعض الناس أن لاروشفوكو يستعمل هذه الكلمات : فى الأغلب ، عادة ، تقريباً ، كثرة الناس ، لياقة ومجاملة حتى يعتقد كل قارئ أنه من المستثنين ، ولكنه يستعملها على الأرجح لأنه يؤمن بوجود الفضيلة الخالصة ، ولكنها نادرة . والدليل على ذلك أنه لا يذكرها فى بعض مواعظه . ولنضرب مثلاً : « الصدق إخلاص القلب . . . موعظة رقم ٦٢ » فهو لا ينكر وجود الصدق ، ولكنه يؤمن بندرته . وهو يتعدى بطريقته الى كشف اللثام عن الفضائل الكاذبة التى يدعيها أكثر الناس

ومواعظ لاروشفوكو على قسوتها تنفع الانسان لأنها تجعله يتأمل نفسه ويراقب فضائله ويطهرها من الرذائل التى تختلط بها . ولهذه المواعظ أثر كبير فى تفكير فلاسفة أوربا النابهين أمثال كانت ، وشوبنهور ، ونيتشه ، وبنتام ، وستيوارت مل ، وبيير بابل وهلفسيوس وغيرهم . وسنتحدث عن هذا الأثر فى فرصة أخرى ان شاء الله ؟

تم البحث

حسن صادق

# العلوم

## اســـتحالة الأجسام

بقـــلم منير غندور
ليسانسيه في العلوم

لو سألت أحداً ممن لم ينالوا من العـــلم شيئاً من هو الـكيميائى ؟ لأجابك إن الـكيميائى رجل يستطيع أن يحول الرصاص ذهباً ، وهذالا وجود له .

وهكذا علق فى ذهن كل منا عندما قرأ القصص القديمة أن الـكيميائى هو الذى يستطيع أن يحول معدناً خسيساً الى معدن ثان نفيس تحت تأثير قوة روحية سحرية .

الانتقال من عنصر الى عنصر كان حلم الـكيميائيين القدماء . غلت المراجل أياما وليالى ، واستحضر الـكيميائيون الأرواح واستنجدوا بالأسرار ، وأوهم أناس أناساً بأنهم توصلوا الى سر هذه المهنة ، وأتت القصص تستعمل هذه المواضيع ، وقضى بعضهم حياته ساعياً وراء هذا السراب الخلاب لينتظر قوة يجهلها تحول رصاصه ذهباً ، ومضى عصر ثم عصر وعصور ، دون أن يستحيل درهم من رصاص الى عشر درهم من فضة أو ذهب !

واليوم أين نحن من تحقيق هذه الفـكرة ؟ أين نحن من تحقيق خيال كيميائيينا القدماء ؟

لسنا بعيدين قط عن تحقيقها ، وان كنا لا نزال نقف أمام رصاصنا وقفة ذلك الـكيميائى القديم يستنزل القوة . نعم لقد أصبحت استحالة الأجسام شيأ خاضعاً للقوانين العلمية الثابتة . ولـكن القوة التى كانت تنقص الـكيميائى القديم ليحقق خياله لا تزال تنقصنا لنحقق يقيننا العلمى . ومن يدرى ؟ فلعل ذلك الخيال كان فى الحقيقة إلهاماً علمياً !

أثبت « ايفيزيك » أن المادة مركبة من وحدات متناهية الصغر تدعى كهارب ، تدور بسرعة هائلة حول نواة وسطية كما تدور السيارات حول الشمس ، وكل نظام من هذه النظم الصغيرة يشبه ما نسميه ذرة . هذه الـكهارب هى نفسها فى كل ذرة وفى ذرة أى عنصر . وانما الذى يختلف اذا انتقلنا من عنصر الى آخر ، من النحاس مثلاً الى الذهب ، أو من الأزوت الى «الهيدروجين» هو عددها والترتيب فى مركبات النواة . (النواة بدورها مركبة من أجزاء صغيرة جداً تقسم الى كهارب والى بروتون . وهى تحمل ، أى النواة ، كهربائية ايجابية .) فالانتقال اذاً من عنصر الى عنصر شئ ممكن اذا استطعنا تبديل عدد هذه الـكهارب أو تبديل الترتيب داخل النواة .

إن تركيب الذرة ودرس خصائصها هو فى الحقيقة معقـد أكثر من هذا بكثير على الأخص مع ما يكتشف فى كل يوم فى هذا الميـدان . ودرس الذرات أصبح اليوم علماً مستقلا بنفسه يقوم بالتنقيب فيه رجال كثيرون . ولـكنى أقتصر على هذا الشرح البسيط حرصاً على اظهار الغرض الرئيسى من هذه الـكلمة وهو امكان استحالة الأجسام .

هذه النظريات التى تقدم لنا الذرة على الوجه الذى شرحت لم تـكن معروفة الى عهد قريب . اذ كان من الثابت أن الذرة هى أصغر شئ يمكن الحصول عليه من عنصر ما فهى وحدة لا تتجزأ . والذى سمح للعلم أن يأخذ طريقه الجديد فى شرح الذرات هى النتائج العظيمة التى قدمها درس الأجسام « ذات الاشعاع الفعال » « corps radio-actifs » واكتشاف هذه الخاصة فى هذه الأجسام يدين به العلم الى « Becquerel » فهو قد لاحظ قبل أن يكتشف مسيو كورى وامرأته « Mr et Mme Curie » الراديوم أن ملحاً من أملاح الايرانيوم « Uranium » يستطيع أن يعطى دون أى تأثير خارجى معروف أشعة مؤلفة من ثلاثة أقسام : أشعة ألفا « α » وهى مركبة من أجزاء مكهربة ايجابيا ، من

أشعة باتا « B » مركبة من كهارب ومن أشعة جاما « g » وهي كأشعة X

هذه الأجسام ذات الأشعة الفعالة تتفكك عندما تذيع ألفا « ∝ » ( وهذه مؤلفة من أجزاء مكهربة ايجابيا والآن أزيد على أنها من الهاليوم ) وأشعة باتا B ( مؤلفة من كهارب سلبية كما رأينا ) وتعطي ذرات جديدة مختلفة . وهكذا فالراديوم يتفكك عندما يذيع أشعة ألفا وينتج ذرة جسم جديد كانوا يسمونه ذرور الراديوم « émanation du radium » ويدعى اليوم رادون « Radon » .

ولكن هذا يتفكك بدوره فيصبح راديوم A ثم راديوم B ثم راديوم C . . . وهكذا إلى أن يصبح رصاصا . وهناك أجسام أخرى من ذوات الاشعاع الفعال كالايرانيوم والطوريوم (وقد عرف من هذه الأجسام أربعون تقريباً ) تتحول الى أن تصير رصاصا .

ولكن كيميائي هذه الاستحالة هو الطبيعة ، ولا يمكننا أن نؤثر على هذا الكيميائي في شيء ، فنحن لا نستطيع أن نجعل سير هذه الاستحالة أكثر أو أقل سرعة ، ولا نستطيع تسبيبه ولا ايقافه .

يظهر لنا من هذا المثل أن الأجسام ذوات الاشعاع الفعال ، وهي كلها ذوات وزن ذري مرتفع ، هي في حالة توازن وقتي فتنفجر ذراتها تحت تأثير نجهله وتتحول الى أجسام أضعف وزناً ذريا وتحصل عندها على توازن مطلق .

غير أن الطبيعة تقدم لنا أمثلة في الاستحالة غير هذه تدلنا على أن تحول الأجسام يمكن أن يحصل دون انهيار أو تدن في الثقل الذري . ولنا في الاجرام السماوية آية على هذه الاستحاله :

فالسدم يتركب كما يظهر من فحص طيفها « speetre » على الأخص من هيدروجين ومن هاليوم . واذا تتبعنا تطورها نرى أنها تتحول تدريجيا لتؤلف كواكب فيها أكثر العناصر التي نعرفها في الكيمياء . فهاليوم السدم وهيدروجانها قد تحولا الى عناصر جديدة أقل بساطة وأرفع ثقلاً ذريا . ودرس الكواكب ونشوئها ومعرفة ما تتركب منه في مختلف حالات تطورها هو الذي جعل لوكيار « Lockyer » يقول بتحول المادة قبل أن تكشف خصائص الأجسام ذوات الأشعة الفعالة .

ولكن هذه الاستحالة كتلك كيميائيها هو الطبيعة ، والقوى التي يستخدمها لا قدرة لنا على ايجاد مثلها . فالحرارة التي تسود في تلك الطبقات والضغط الهائل هما القوة المستعملة ليتألف من تلك العناصر البسيطة كل باقي العناصر .

الآن وقد ظهر لنا كيف كان من الممكن استحالة ذرة الى ذرة وكيف أن الطبيعة تعطينا أمثلة من هذه الاستحالة أريد أن أقول كلمة في المحاولات التي أجريت لتحقيق فكرة استحالة العناصر عمليا .

ان ما يصح أن نعتقد به الآن كتجربة علمية لا شك فيها هو ما قام به العالم الانكليزي ريتفورد « Ruthford » . لقد سلط ريتفورد مقذوفات جسم ذي اشعاع فعال ، أجزاء ألفا ، على بضعة عناصر : الأزوت ، البور ، الفوسفور ، الصوديوم ، الالمينيوم والفليور . فتفككت هذه العناصر تحت تأثير هذه القذائف التي تسير بسرعة ٢٠ ألف كيلومتر في الثانية وأعطت هيدروجين . غير أن كمية الهيدروجين كانت متناهية القلة .

وما عدا هذه النتيجة فكل ما قام به المجربون ، وهم كثيرون ، لا يزال يشك في صحته ، ولذا لا أرى لذكره فائدة

نشط العلماء في جميع أنحاء العالم يواصلون جهودهم للتوصل الى نتيجة نهائية . وليس من العسير علينا أن نفهم اندفاع هؤلاء العلماء في هذا المضمار ، فالوصول الى استحالة الأجسام بطريقة ما يغير فكرتنا عن المادة وعن الحياة ، نستطيع أن ننتقل من عنصر الى عنصر ، لقد ألغيت الحاجة ! الحاجة كما يصورها مجتمعنا الحالي لأنه سوف تخلق حاجات لا وجود لها الآن .

لا نحتاج لنحمل الى البشرية اختراعاً « لا يقل أهمية عن اكتشاف الرجل القديم للنار » الا قوة أشد مما عرفنا الى الآن ، قوة من أي نوع كانت . ولنا الحق في الأمل بأننا سوف نصل قريبا ، فالكهرباء تعطينا في كل يوم قوة لم نكن نتخيل الوصول اليها . وقد توصل الدكتور « فان دي جراف » الى توليد مجرى كهربائي تحت ضغط عشرة ملايين « ڤولت » وسيزيد عدد « الڤولتات » ويزيد . . أو سنكتشف قوة جديدة لا نشك بوجودها فنمزق الذرة كيفما شئنا ونتصرف فيها كيفما أردنا ونحقق حلم كيميائيينا القدماء .

**منير غندور**

# ٢ ـ اســـحاق نيوتن

١٦٤٢ — ١٧٢٧

للأستاذ مصطفى محمود حافظ

رجوعه الى كامبردج :

تركنا نيوتن فى مقالنا السابق يغادر مزرعته ذاهبا الى كامبردج للمرة الثانية ، بعد ان احتجزه الطاعون مدة سنتين بعيداً عن مكتبة الجامعة ومعاملها ، مما كان سبباً مباشراً فى عدم ظهور قانون الجذب العام فى هذه الفترة ، وظهوره متأخراً بين عاصفة من المناقشات والأحقاد

نال الأستاذية بعد سنة من رجوعه ، ثم اختارته الكلية زميلاً وقد كان لهذه الزمالة فوق ميزة الشرف ميزة أخرى مادية كان نيوتن فى أشد الحاجة اليها فى ذلك الوقت الذى لم يكن له فيه من مورد سوى ما كانت توفره له أمه من دخلها الصغير

اشتغل نيوتن باتمام صنع تلسكوبه العاكس الصغير وكان طوله ست بوصات ، وتمكن بواسطته من رؤية المشترى واربعة من اقماره ( المشترى له تسعة اقمار ) . ولكنه كان يعمل دائماً على تحسين هذا التلسكوب العاكس . وكان عدا اشتغاله باجراء التجارب الكيميائية يقوم بمساعدة استاذه «اسحاق بارو» فى اعداد محاضراته فى الرياضة ، وقد ساعده ايضاً فى تصحيح محاضراته الضوئية ، ولكنه لم يجرؤ على أن يخطىء أستاذه فيما كان يعتقد فى طبيعة الضوء الأبيض على أساس ما وصل اليه هو من تجربة المنشور الثلاثى

وفى سنة ١٦٦٩ غادر الأستاذ «بارو» كامبردج تاركا كرسيه فى الجامعة ومرشحاً خلفاً له فيه اسحاق نيوتن الشاب ، وقد عين فيه ، فكان يحاضر فى البصريات والجاذبية وعلم الجبر ، ولكنه ظل يعنى بأبحاثه العملية وإصلاح تلسكوبه الأول

الجمعية الملكية بلندن وعضويته فيها :

نشأت هذه الجمعية فى سنة ١٦٤٥ من نفر من ذوى الميول الفلسفية ، كانوا يجتمعون فى مواعيد معينة فى لندن فى كلية « جراشام » . وفى سنة ١٦٦٠ بلغ عدد اعضائها ٤١ عضواً واتفقوا على أن يدفع العضو عشرة شلنات رسما للدخول فى الجمعية وشلناً أسبوعياً قيمة الأشتراك فيها .

وقد ساعد الملك « تشارل الثانى » هذه الجماعة لميله الى العلوم وفى سنة ١٦٦١ اصبح عضواً فى هذه الجمعية الناشئة التى سميت الجمعية الملكية .

ولما اتم نيوتن صنع تلسكوبه الثانى فى سنة ١٦٧١ أثار به اهتماماً كبيراً ، ونصح له أن يقدمه الى الجمعية الملكية ، ففعل ، ولا تزال تحتفظ به الجمعية الى الآن . وقد انتخب عضواً فيها فى يناير سنة ١٦٧٢ فكان أول ما قدمه اليها رسالة عن طبيعة الضوء الأبيض ، فكانت اول حلقة فى سلسلة المتاعب التى لازمته طول حياته

لقد كانت نظرية نيوتن تقول بأن الضوء الأبيض ليس فى الواقع إلا عدة ألوان تؤثر كلها فى شبكية العين فتعطى تأثير اللون الأبيض ، ويمكن تفريق اللون الأبيض إلى هذه الألوان المتعددة بامراره فى منشور ثلاثى من الزجاج مثلاً . ولكنه أخطأ واعتبر ان مقدار الأنكسار لا يتغير لكل من مكونات الضوء الأبيض غير ملاحظ ما يسببه اختلاف نوع الزجاج المستعمل فى تغيير هذا المقدار

عارضه فى ذلك من معاصريه العالم « روبرت هوك » الذى ظل منافساً قوياً له فيما بعد ، والفيلسوف الهولندى « كرستيان هيجنز » صاحب النظرية الموجية فى الضوء ، والفلكى المشهور « فلامستيد » . كما عارض فكرته من غير معاصريه الشاعر الألمانى العظيم « جوت » رغم قصر باعه فى العلوم الطبيعية .

نظرية نيوتن فى ماهية الضوء :

وقد جر الجدال حول هذه النقطة نيوتن إلى أن يضع نظريته فى طبيعة الضوء ، وهى نظرية « الدقائق » التى قضت على النظرية الموجية بالأختفاء قرناً كاملاً .

قال نيوتن فى تفسير الضوء انه عبارة عن « دقائق » صغيرة تنطلق من الجسم المضىء وتسير بسرعة كبيرة فى خطوط مستقيمة ، وقد فسر على هذا الأساس ظاهرتى «الانعكاس» و «الانكسار» وذلك بأن رأى لدقائقه اطواراً تجعلها تنعكس مرة وتنكسر أخرى . وقد شرح على أساس هذه النظرية كل الظواهر الضوئية التى كانت معروفة فى عصره كالحيود والتداخل بشروح تتراوح بين البساطة والتعقيد . وقد دافع نيوتن عن نظريته هذه بكل ما أوتى من ذكاء ، فظلت مأخوذاً بها عند أغلب علماء الطبيعة

حتى أوائل القرن التاسع عشر ، حينما بدأت النتائج العملية تؤيد النظرية الموجية ، فاختفت نظرية نيوتن ولم يعد يؤبه لها مما جعل البعض من المتحيزين الى نيوتن يقولون إنه لم يكن يقصد إلى وضع نظرية كاملة لطبيعة الضوء ، إنما كان يقصد الرد على معترضى فكرته فى طبيعة اللون الأبيض فوضع ما يقرب من أن يكون نظرية . ولكن الابحاث الأخيرة فى «نظرية الكم» التى وضعها «بلانك» تكاد تؤيد « دقائق » نيوتن ، وهى إن فعلت فان نيوتن يكون قد سبق معاصريه بما يقرب من ثلاثمائة عام

وقد أراد نيوتن ان يثبت عملياً دوران الأرض حول نفسها فارسل الى الدكتور هوك ، وهو سكرتير الجمعية الملكية فى ذلك الوقت ، يقترح تجربة لاثبات ذلك ، بالقاء جسم من مكان عال . فاذا كانت الأرض ساكنة فان الجسم يسقط فى خط رأسى ، والا فانه يحيد عن ذلك الخط بقليل . وقد وافقه هوك ملاحظاً أن ذلك يتوقف على موضع اجراء التجربة على سطح الأرض

## ظهور قانون الجذب العام :

ذكرنا فى المقال السابق ان نيوتن أعرض عن قانون الجذب العام حينما وجد أن العمليات الحسابية الخاصة بحركة القمر لاتتفق مع ما ذهب اليه من أن القمر يتحرك حول الأرض بقوة جاذبيتها له ، وكان ذلك الاختلاف راجعا كما قلنا الى الخطأ فى تقدير نصف الكرة الأرضية ، وانه اشتغل بتجاربه فى الكيمياء والبصريات وبالقاء المحاضرات . ولكن لما وصل إلى الجمعية الملكية نبأ قيام العالم الفرنسى « بيكار » بقياس طول محيط الكرة الأرضية وذلك بقياس المسافة بين كل درجتى طول متتاليتين (٦٩ ميلاً) وضرب ذلك فى ٣٦٠ (عدد درجات انطول) أدرك نيوتن خطأه فى تقدير نصف قطر الكرة الأرضية ، فرجع إلى كامبردج وأكب على دراسة المسألة مرة أخرى ، وفى هذه المرة حققت الرياضة صحة ماذهب اليه فى «وولثورب» ، وهو أن قانون الجاذبية هو قانون كونى عام . فالأرض تجذب كل جسم على سطحها بقوة تتناسب طردياً مع حاصل ضرب الكتلتين ، وتتناسب عكسياً مع مربع المسافة بينها . وكذلك الأرض تجذب القمر بنفس هذه القوة . والشمس بدورها تجذب الأرض وبقية الكواكب السيارة ، فيتسبب عن ذلك دوران هذه الكواكب حول الشمس بدلاً من انطلاقها فى خطوط مستقيمة كما ينص على ذلك قانون القصور الذاتى

ولن ينقص من قيمة هذا القانون ما يقول به « اينشتين » من أن الجاذبية شيء نسبي ، وأن التفاحة التى لاحظ نيوتن انها تنجذب إلى الأرض يمكن اعتبارها جاذبة الأرض اليها ، وأن الشخص الجالس فى مصعد يهوى بتأثير ثقله لايشاهد سقوط التفاحة إلى أرض المصعد إن هو تركها من يده ، بل يلاحظ بقاءها معلقة فى مكانها ، وأن ظواهر الجاذبية يمكن تعليلها كلها بفرض تكور الكون ؛ لا يمكن أن ينقص كل ذلك من قيمة قانون الجذب العام ما دام هذا القانون يفسر لنا حل الظواهر الكونية . ولا صحة مطلقاً للقول الشائع بأن « اينشتين » قد هدم نيوتن ، فكل ما فعله هو أنه نظر إلى قوانين نيوتن من ناحية غير الناحية القديمة

أثبت نيوتن هذا القانون فى سنة ١٦٨٢ ، ولكنه لم ينشر آراءه خوفاً من حملات النقد التى كان يتحاشاها قدر جهده ، وفضل أن تنشر بعد موته : وفى سنة ١٦٨٣ وصل دكتور «هوك» ودكتور « هالى » وسير « كرستوفرين » إلى جزء من قانون نيوتن ، وهو أن قوة جذب الأرض تتبع قنون التربيع العكسى وأخذوا يبحثون لايجاد مسير كوكب متحرك إذا كان منجذباً إلى نقطة معينة بقوة تتناسب عكسياً مع مربع المسافة بينهما ، وكان الأمل الذى يجول فى قرارة أنفسهم هو اثبات ان حركات الكواكب حول الشمس ترجع إلى ما يشبه قانون الجاذبية على سطح الأرض ، ولكنهم لم يفلحوا . فوعد سير « كرستوفرين » باهداء كتاب قيمته جنيهان لمن يعين هذا المسير ، فقال دكتور « هوك » بان هذا المسير سيكون قطعاً ناقصا ، ولكنه لم يقدم البرهان على ذلك . فقصد « هالى » الى كامبردج وعرض الأمر على نيوتن فوجده قد اشتغل بهذه المشكلة وحلها ، وأخبره أن هذا المسير يكون قطعاً ناقصاً ووعده بالبرهان بعد قليل . وقد بر نيوتن بوعده فارسل بالبرهان الى «هالى» بعد ثلاثة أشهر . ولكن « هالى » اراد التأكد من بعض نقط فرحل مرة أخرى إلى كامبردج ، ثم طلب من نيوتن أن يقدم بحثه إلى الجمعية الملكية فوافق بعد إلحاح .

« التتمة فى العدد القادم »

**مصطفى محمود حافظ**
مدرس بمدرسة المعلمين بامبابه

من القصص الشعرى

# اســـلام حمزة

## بقـــلم فريد عين شوكه

مر أبو الحكم بن هشام (أبو جهل) برسول الله عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه، فلم يرد عليه. ثم انصرف أبو جهل وعاد الرسول الى بيته وعاد حمزة بن عبد المطلب من صيده فمر بالصفا فحدثته مولاة لعبد الله ابن جدعان بما كان من أمر أبى جهل مع الرسول؛ فغضب حمزة وراح يبحث عن أبى جهل حتى إذا بصر به فى ناد من قريش ضربه بقوسه فشج رأسه شجة منكرة، ثم أعلن إسلامه فى هذا الجمع، وعلمت قريش أن الرسول قد عز وامتنع باسلام عمه حمزة.

. الرسول يجلس على الصفا مطرقاً الى الأرض، تراه المولاة فتقول:

لك الله من ناصب مُتعَب    يجاهـــد فى بلد مشغَب
تحمل فيه صنوف العـــذا    ب فلم يستبـد ولم يغضب
وأوذى من أهله الظالمين    وشرّد فى حيّـه الأقرب
وقاسى بمكة ذل الغريب    وذاق من المهد يُتمَ الأب

(تسعى اليه تستضيفه عندها)

محمد: (ينظر اليها)

لا تســـترح بيننـــا    على ذلك الحجر المجـــدب
ونحن جوارك تحت الظـلا    ل بوادٍ وفير الجنى مخصب
يطالعنا بشـــهى الثما    ر ويجرى بموردِه الأعذب

الرسول (اليها):

دعينى هنا أسترح ساعة

هى (مستنكرة):    على ذلك الجلمـــد الملهب؟
وكيف تطيق لهيب الرما    ل وترتاح فى وهج السبسب؟
هلُمَّ الى حيّنا فاسترح    قليـــلاً بمربعنا الأرحب
يظلك فيـــه وريف الغِـرا    س فتغفو على ظله الطيّب

الرسول (شاكراً):

رعتكِ العناية، لن أستطيع    ثواءً بواديكمُ المُـعشبِ

هى (متضرعة):    أطعنى

الرسول (زاهداً):    دعينى

ترثى له الفتاة ثم تمضى عنه فى صمت، ويطرق ثانية الى الأرض؛ ثم يمر به أبو جهل فيرفع رأسه بشدة:

أنت هنا    فريداً عن الصـحبة الهُـرَّب
تجالد وحـــدك ذل الخرو    ج على دين آبائك الأشهب

الرسول (فى هدوء): معى الله

أبو جهل (ساخراً):

خلاك من فرية    يضـــيق بها صبية الملعب
وأسطورة جئت تسـعى بها    وتزعم أنـــك فينـــا نبى
وأنـــك قائدنا فى الحيـــا    ة وهاد لمن ضل فى الغيهب
ألا ما أضـــلك من قائد    وأخسفك اليوم من كوكب
فمن أنت حتى تقود الأنام    وتهدِ بهمو وضح المذهب
ومن أنت حتى نصيخ اليك    ونمشى على نهجك الأنكب
وكيف وأنت مهيض الجنا    ح ومن ذلك النفر المـترب
أليس لدى الله من يصطفيه    سواك من المرد والشيب
محمـــدُ أسرفت فيما دعوت    ولكن غربـــك لم يعقب
وأشـفق منا عليك الرجال    فجاءوك بالمـــال والمنصب
وأقبلتَ تسخر من عطفهم    وتزرى برأيهـــم الأصوب
فلم نسعَ بعدُ بعُتب إليك    فمـــا أنت والله بالمعتب
ولـكن ستصليك سوط العذا    ب ونفريك بالنـاب والمخلب

ينصرف عنه الرسول غير مجيب فيهدده أبو جهل صارخاً:

فإما نـكصت وإما هلـكتَ    وموتـك ليس بمستصعَب

ثم ينصرف أبوجهل ويمر حمزة عائداً من الصيد يقول:

يوم أغرُّ على الجزيرة مشرقٌ    كالبدر فى جنح الدجى يتألق
عالجت فيه الصيد جد مظفر    ورجعت منه مجلياً لا يُلحق
كم صدت من ظبى بهِ وكواسر    عصماءَ كانت فى السماء تحلّق

تسمع صوته المولاة فتخرج إليه فتستوقفه لترى ظبيه:

أرنيهِ حمزةُ    فينعطف عليها فتراه وتقول:

ياله من شادن    تهوى رشاقته النفوس وتعشق
دعه لدىَّ أبا عمـــارة منحةً

حمزة (فى تيه):    أمل لعمرك سوف لا يتحقق
إن كنت تائقة إليهِ مشوقة    بجمال ِبزّته فانى أشـــوق

هى:    بل خلّـه

حمزة (وهو يأخذه منها):

لن أستطيع فانما    هو كل ما أبغى وما أتمشق

هي (وقد جدت بعد هزل) :

تا لله مايغنيك ظبي صدته   وحماك صيد مستباح مُطلق

حمزة (غاضباً) :

كذبا زعمت فانما أنا قسور   تعنو لطلعته القلوب وتفرق

وأنا أعز شباب مكة كلها   وحماى أرفع أن ينال وأشهق

هي (ساخرة) :

خفف عليك فقد تصدع شمله   وغدا على عبث الحوادث ينتق

حمزة (هائجا) :

كيف استبيح ؟

هي : أما رأيت محمدا   يرمى بما يوهى الجبال ويمحق

ومحمد ابن أخيك كيف يصيبه   هذا العذاب وفيك قلب يخفق

حمزة (غاضباً) :

من ذا استطال عليه أم من ناله   بأذى ؟

هي (متحسرة) : أبو الحكم الجهول الأحمق

لاقاه قبلك بالسفاهة والأذى   وقسا عليه وهو مُغض مطرق

يرنو اليه بمقلتى متضرع   فيفيض فى سفه الحديث ويُغرق

سفه تضج له السموات العلى   والأرض من غلوائه تتشقق

وأذى تخر له الجبال صريعة   وتهى لمسمعه النفوس وتصعق

حتى إذا ضاق النبي بكل ما   لاقاه من عنت يؤود ويرهق

ترك الصفا ثبت الجنان وكله   شكوى تفيض وأدمع تترقرق

حمزة (وقد بلغ به الغضب) :

ويل لعمرو من حسام فى يدى   قاسى الطعان يشيب منه المفرق

ويل له حتى يصير فريسة   تفرى حشاها الضاريات وتعرق

لو كنت حاضره على هذا الصفا   لأصاب منى مارداً لا يرفق

صبراً نبى الله سوف يصيبهم   مما رموك به شواظ محرق

ثم يذهل عما كان معه من ظبي وطيور ويهم بافتقاد أبى جهل ، ويشرف على ناد بقريش فيراه أحدهم من بعد فيحادث جلساءه وهو مرتاع :

انظروا حمزة

فينظرون ثم يقول أكثرهم :

شر مدلهمْ   بين عينيه ونار تضطرمْ

بعضهم :

ويحه أى مصاب هاجه   فأتى يعبس كالخطب الملمْ

يأتى حمزة فيقومون إليه :

إيه يا حمزة

حمزة (ثائراً) : ألهوبُ لظى   بين أحشائى قاس يحتدم

ثم ينظر فيهم :

أين هذا الوغد

هم (اليه) : من ذا تبتغى

هو (فى اضطراب) : أخبرونى أين يا قوم جثم

يقبل أبو جهل من جهة أخرى فيراه حمزة فيضربه بقوسه قائلاً :

أنت أقبلتَ ؟ فخذها ضربة   يرتوى منك بها قوسٌ نَهِم

أبو جهل (وقد وقع على الأرض) :

أدركونى (فيقبل البعض عليه)

حمزة (وقد أحاط به بعض الشجعان يمنعونه) :

بل دعونى أسقه

أكؤس الموت وأكواب العدم

واحد منهم :

اصطبر حمزة لا تهتج فما   سكن المهتاج إلا وندم

ثم يتحايلون عليه حتى يجلس فيتحادثون :

ما الذى نالك من عمرو

حمزة : لقد   نال من قومى كثيراً وظلم

كل يوم يشتفى فى ابن أخى   بسباب دونه أقسى الحمم

وإذا ماشامه أغرى به   صبية الحىّ وأوشاب الخدم

هم (فى ترفق) :

سوف نرجوه فلا يقربه   بأذى

حمزة (مستنكرا) : ترجونه فيما اجترم ؟

هانت الدنيا اذا لم أحمه   أينما حل وأيانَ قدم

من أناسىّ كربع دارس   كاد من فرط البلى أن ينهدم

أسد فى غير ساحات الوغى   وهُم ان جدت الحرب نَعَم

ثم يسكت قليلا ويهم واقفاً :

بلغى ياريح عنى واحفظى   أيها الصحراء واشهد ياحرم

أننى أسلمت لله فلن   أخفض الهامة منى لصنم

وسأعلى دينه الحق على   مفرق العُرْب وهامات العجم

(ثم يمضى والقوم فى لغط واضطراب)

فريد عين شوكه

# الكتب

## تحضير الميزانية المصرية

للدكتور محمد توفيق يونس

نشر الدكتور محمد توفيق يونس رسالته التى نال بها أخيرا إجازة الدكتوراه فى الحقوق من الجامعة المصرية بدرجة «جيد جداً» مع شرف الأمتياز بتبادلها مع الجامعات الأجنبية .

وموضوع الرسالة «تحضير الميزانية المصرية» وهو موضوع من أقوى الموضوعات المالية نفعاً ، وأعظمها خطراً ، وأشدها اتصالاً بعمل الحكومة والبرلمان ، وأعمقها أثراً فى حياة البلاد وتقدمها .

وعلى الرغم من ذلك كله ظل هذا الموضوع مجهولا حتى جاءت هذه الرسالة القيمة فازاحت الستار عنه والقت عليه ضوءاً ساطعاً أنار جوانبه جميعا .

ويزيد هذا البحث جلالاً وخطراً أنه بني على أبحاث قيمة عميقة ، ومشاهدات واقعية دقيقة ، ووثائق أصلية ثمينة ، تستفرغ الجهد المضني وتستنفد الوقت الطويل .

وقد رتب المؤلف ابحاثه ترتيباً منطقياً سليماً ، وصور للقارئ الميزانية المصرية تصويراً علمياً سديداً ، فأرجع موضوعاتها الى اصولها العلمية وسماها بمسمياتها الصحيحة ، وطبق عليها مبادىء علم المالية العامة ، وأخضعها للبحث العلمي الدقيق ، وجعل منها مجموعة متماسكة الأجزاء ، محكمة الارتباط ، واضحة المعنى .

بيّن للجمهور الحالة الحاضرة للميزانية المصرية من الوجهتين العلمية والعملية بعد أن تكلم عن حالتها فى الماضى ومختلف تطوراتها . وقد درسها فوق ذلك دراسة نقدية ، ووقف ازاء ما يعرضه من مسائل موقفا إيجابيا ، وبين ما يراه من الوسائل المؤدية لحلها ، فمهد بذلك الطريق لمن يتبعه من الباحثين ، وأعطى كل من يهمه أمر الميزانية المصرية من الشيوخ والنواب والموظفين والطلبة مرجعا قيما ثميناً ، شديد الأهمية جزيل الفائدة ، خصوصا ولم يكن أمامهم قبل ذلك اى بحث آخر يعبد السبيل وينير الموضوع

وليس أدل على موضوع هذا البحث مما يقوله المؤلف فى ختام مقدمته : « على هذا الأساس الواقعى بنيت رسالتى جاعلا نصب عيني أن أرى القارئ ، فى تحضير الميزانية ، كيف تصبح مجموعة من التقديرات الأولية المبعثرة مجلداً ضخما منسقاً ؛ وأن أصور له الميزانية المصرية تصوير الكائن المستقل له أجزاؤه ومميزاته مقدماً اليه بياناً عن جميع الأدوار التى تمر بها فى مرحلة التحضير محدداً ومحللاً المبادئ والقواعد التى تتصل بها وتقوم عليها »

و لقد حقق المؤلف غرضه أتم تحقيق ، وبلغ ولا شك غايته على خير ما يكون ، فقدرت الجامعة المصرية رسالته أعظم تقدير ومنحته اسمى درجاتها ، وصادف عمله نجاحاً عظيماً واهتماماً شديداً فى الأوساط العلمية والدوائر الحكومية . والكتاب أنيق الطبع جيد الورق يباع فى جميع المكاتب الشهيرة وثمنه عشرون قرشاً

## زعامة الشــعر الجاهلى

بين امرئ القيس وعديّ بن زيد

تأليف الأستاذ عبد المتعال الصعيدى

الأستاذ عبد المتعال الصعيدى أديب مجتهد واسع الاطلاع ، يعجبك منه اذا حادثته دماثة خلقه ، ورقة طبعه ، وسرعة بديهته ، ومن آثاره الأدبية هذا الكتاب الذى أحدثك عنه ، وهو يقع فى نحو مائة وثلاثين صفحة من القطع الكبير .

ابتدأ الأستاذ كتابه بفصل فى ميزان الشعر ، وقد تساءل فى هذا الفصل « هل يوزن الشعر بموضوعه أو يوزن بألفاظه ومعانيه أو يوزن بهما معاً ؟ واذا كان يوزن بهما معاً فما الذى ينظر اليه

قبل غيره منهما ؟» ثم تكلم فى هذا الفصل عن الشعر وأغراضه ، وعقد فصلاً آخر عن الشعر الحضرى والشعر البدوى ثم وصف نجداً وتكلم عن كندة وتغلب ، ثم ترجم لامرئ القيس وشرح عقيدته وتعرض للغته وشعره ، وأورد طرفاً من شعره فى لهوه وجده ، وبعد ذلك انتقل الى عدى بن زيد فتكلم عن الحيرة وعن حياة عدى ولغته وشعره ، وأورد أيضاً شيئاً منه ، ثم تكلم عن منزلة الشاعرين اجمالا ووازن بينهما فى النهاية فجعل الزعامة لعدى بن زيد .

فالكتاب كما ترى جدير بأن يقرأه الأدباء ، فسيجدون فى قراءته متعة ، وسيظفرون منه بكثير من المعلومات الشيقة المفيدة ولهم بعد ذلك أن يوافقوا الأستاذ فيما ذهب اليه أو يخالفوه .

أما أنا فأخالفه وأراه متحيزاً فى حكمه ، وأرى هذا التحيز نتيجة لازمة لمقدمته عن ميزان الشعر ، فقد جعل الأساس فى وزن الشعر أغراضه ، وقسم هذه الأغراض الى شريفة وغير شريفة ، دون أن يحدد هذا التقسيم ، ثم أظهر ميله الى شعر الحضر ونفوره من شعر البادية فجعله غليظاً خشناً ليس فيه من المحاسن الا وصف جمال الطبيعة ان كان ثمة من جمال فى البادية ! وعلى هذا الأساس قدم عديا لشرف أغراضه ورقته التى اكتسبها من الحضر مع أنه يقول فى صفحة ١٤ « ولا نريد من هذا أن الأدب الحضرى فى جملته كان خيراً من الأدب البدوى فى جملته ، وقد يوجد من أدباء البدو من كان خيراً من بعض أدباء الحضر ومن أدباء الحضر من كان فى أدبه أقل من بعض أدباء البدو » ولكنه أراد أن يقدم عديا فتكلف ، واضطر الى أن يغمط امرأ القيس كثيراً من محاسنه ، هذا الى أنى أخالف الأستاذ الفاضل فى قوله عن الشعر « إن موضوعاته هى أغراضه وألفاظه هى معانيه ، ومعانيه هى ألفاظه ، ولا يمتاز اللفظ عن المعنى الا فى مظهر وجوده فى اللسان ووجود المعنى فى الذهن » .

لا أستطيع أن أقره على هذا الرأى ، ولا أجده يحتمل المناقشة أو بعبارة أخرى أجد المناقشة فيه لا تنتهى ، فان المناقشة فى البديهيات تخرج عن الموضوع اذ أنها تبدأ من قضية مسلمة ومن نقطة نهائية .

أما عن قياس الشعر بأغراضه فانى أرى الأمر على عكس ما يراه الأستاذ ، فلن تتسنى الموازنة بين شاعرين ، اذا أردنا تفضيل أحدهما على الآخر الا اذا اتفقا فى الغرض ، أو على حد تعبير أدبائنا الا اذا اتحدا فى المدرسة ، أما أن يختلفا فى البيئة والغرض فنجعل من ذلك مقياساً للموازنة بينهما فمالا أسلم به الا اذا استطعنا أن نوازن موازنة تنتهى بحكم تفضيلى بين أبى نواس وعمر بن أبى ربيعة مثلا أو بين البحترى والمعرى أو بين شوقى والبارودى . . . الخ

ولكنى اذا خالفت الأستاذ فى بعض آرائه فلا يسعنى الا أن أعلن اعجابى بدقته فى البحث واستقصائه لتفاصيل الموضوع وإلمامه به ، هذا الى جمال عبارته ودقة أدائه ، مما يجعل كتابه جديراً بالاقتناء ، خليقاً بالدرس فى روية وامعان م؟

محمود الخفيف



مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

# فهرس أبجدى عام

## لموضوعات المجلد الاول من السنة الثانية

( أ )

# فهرس ابجدى عام

## لموضوعات المجلد الاول من السنة الثانية

# فهرس ابجدى عام

## لموضوعات المجلد الاول من السنة الثانية

# فهرس ابجدى عام

## لموضوعات المجلد الاول من السنة الثانية

# فهرس ابجدى عام

## لموضوعات المجلد الاول من السنة الثانية

# فهرس ابجـدى عام

## للكتاب الذين كتبوا فى المجلد الاول من السنة الثانية

(مطبعة سكر